28 سلسلة الدروس الثقافية

جلاء القلوب

من صدأ الذنوب









جلاء القلوب

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب : جلاء القلوب

تأليف : مركز نون للتأليف والترجمة

نشر : جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى آذار 2010 م - 1431 هـ



من صدأ الذنوب

مركز نون للتّأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف السفراء وأفضل الأنبياء أبي القاسم محمّد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يقول تعالى في كتابه المجيد: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾**(١).

المعصومون عليهم السلام معدودون بأسمائهم، أمّا نحن فليس أحدٌ منّا لا يقع في الذنب، وتجدنا نهتمّ بأجسامنا لكي نتجنّب الأمراض ونحافظ عليها، وهذا ما يؤكّد عليه ديننا القويم، لكنّه يؤكّد أيضاً على شيء أهمّ من الجسد وهي الروح، وهي التي بها يكون الإنسان إنساناً، يؤكّد على الروح من أن تتلوّث بالمعاصي، وتتأثّر بالذنوب، المهلكات، فلماذا لا نهتمّ بها؟

نعم، نحن قد أُعطينا الفرصة في هذه الأيّام المحدودة التي نعيشها، وما زالت مفتوحة أمامنا. لكن تعالوا نتعرّف على آثار الذنوب، في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة. عسى أن تكون المعرفة مانعة لنا من اقترافها، أو من التفكير بها والحذر منها، لأنّ المعرفة أحد أهمّ الأسباب التي ينبغي توفّرها في طريق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا تعرّفنا إلى الذنب وآثاره وما يترتّب عليه بعُدنا عنه، ونكون بذلك قد تحلّينا بالصفات التي يجب توفّرها في الإنسان الذي جعله الله خليفة له في الأرض وفضّله على كثيرٍ من الملائكة.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

هذا ما نتعرّض له في هذا الكتاب، الذي عمل عليه مركز نون للتأليف والترجمة، عسى اللّه أن يتحف به الأساتذة الكرام والقرّاء الأعزّاء، والاستفادة منه قبل حلول أشهر النور، على أمل أن يكون موعدنا فيها مع كتابٍ جديد حول شرحٍ وتعليقٍ لأهمّ فقرات دعاء أبي حمزة الثماليّ، بما يتناسب مع الموعظة الأخلاقيّة، ضمن سلسلة كتب المواعظ، الموسومة بـ«حياة القلوب».

ونسـأله أيضـاً أن يتقبّل منّا أجمعيـن، ويجعلنا من العامليـن، ويعجّل فرج وليّه صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف إنّه نعم المولى ونعم المجيب.

مركز نون للتأليف والترجمة

1

آثار الذنوب

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«فأمّا أهل الطاعة فأثابهم بجواره وخلّدهم في داره، حيث لا يظعن النُّزّال[1]، ولا تتغيّر بهم الحال ولا تنوبهم الأفزاع[2]، ولا تنالهم الأسقام ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار[3].

وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل[4] القطران، ومقطّعات[5] النيران، في عذاب قد اشتدّ حرّه وباب قد أُطبق على أهله، في نار لها كَلَبٌ[6] ولَجَبٌ[7]، ولهبٌ ساطعٌ، وقصيفٌ هائلٌ، لا يظعن مُقيمها، ولا يفادى أسيرها، ولا تفصم كبولها[8]، لا مدّة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى»[1].

(١) لا يغادروا مكان إقامتهم.

(٢) لا تحلّ بهم مصائب الفزع والخوف.

(٣) لا تزعجهم الأسفار.

(٤) قمصان القطران.

(٥) كلّ ثوب يقطّع الجبّة وغيرها، وما لا يقطع كالإزار والرداء.

(٦) هيجان وصياح كالكلاب عندما تهوج.

(٧) الجلبة وارتفاع الأصوات.

(٨) قيودها وحبائلها.

---

(١) لمن خطبة له عليه السلام في تمجيد الله سبحانه ج١ ص ٢١٤.

هدف وجود الإنسان:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

لا بدّ للإنسان السالك إلى اللّه أن يعلم أنّه لم يخلق لأجل هذه الدنيا الدنيّة، وإنّما هو مخلوقٌ شريفٌ، أكرمه اللّه وشرّفه بالعديد من المنازل والمقامات، فخلقه في أحسن تقويم، وزيّنه بالعقل، واستخلفه في الأرض، ليكون مثالاً للّه في أسمائه وصفاته، سالكاً سبيل أوليائه وأنبيائه عليهم السلام. وطالباً منه الرجوع إليه بنفسٍ مطمئنّة وقلب سليمٍ؛ ليدخل في جملة عباده وليسكنه الفسيح من جنانه، التي أعدّها للمحسنين والمتّقين ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٢]، مجاوراً لقربه الذي هو غاية الغايات والهدف الأسمى لخلق الإنسان ووجوده.

ومن هنا كان ابتلاؤنا بعالم الدنيا ووساوس الشيطان والنفس الأمّارة، والطريق طويل طويل، والبحر عميق عميق، فلا بدّ من تهيئة الزاد والوسيلة، من أجل هذا السفر الشاقّ والمليء بالمخاطر والمصاعب، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٣].

ولذا فقد عبّر علماؤنا في الأخلاق والسلوك عن الطريق إلى اللّه؛ بأنّها طريق ذات الشوكة، وعن عمليّة التربية والتهذيب للنفس؛ بأنّها «رياضة»، يروّض الإنسان فيها نفسه الجامحة الأمّارة بالسوء، ليكبح جماحها وطغيانها، وليتحرّر من أسرها وأغلالها ورقّ العبوديّة لها، ولشيطانها الذي:﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الإنشقاق، الآية: ٦.

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1].

طريق النجاة:

ومن أجل الوصول إلى مقام العبوديّة والتقرّب إلى الله وتحصيل رضوانه الأكبر، لا بدّ من الجهاد في سبيله عن مجاهدة النفس وبذل الوسع في تزكيتها، الذي هو الجهاد الأكبر، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأصحابه بعد أن رجعوا من ميدان جهاد أعداء الله: «**مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل يا رسول الله ما الجهاد الأكبر، قال: جهاد النفس**»[2].

وجهاد النفس: هو تزكيتها وتطهيرها بتخليتها من الرذائل والأخلاق القبيحة، وتحليتها بالفضائل والصفات والأخلاق الحسنة، وذلك ما يحقّق السعادة الدنيويّة والأخرويّة، إذ لا نجاة إلّا بالطاعة لله وعدم معصيته، ولا يتيسّر ذلك إلّا من خلال التفقّه بالدين وطلب العلم، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**لا نجاة إلّا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد (يعتقل)، ولا علم إلّا من عالمٍ ربّاني ومعرفة العلم (العالم) بالعقل**»[3].

ومن هنا تأتي أهميّة التعرّف على الذنوب، وآثارها الخطيرة المهلكة للإنسان في الدنيا والآخرة، والمانعة له من النجاة ودخول الجنّة، والسالكة به إلى النار أعاذنا الله منها.

الذنوب

١. **الذنب لغة:** الإثم والجرم والمعصية.

٢. **اصطلاحاً:** ترك المأمور به من الله، وفعل المنهيّ عنه، وبعبارة أخرى أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفتقدك حيث أمرك.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٦١.

(٣) الكافي، ج١، ص١٧.

والمأمـور بـه من قبل الله عزَّ وجلَّ إمّا أن يكون واجباً أو مسـتحبّاً، والمنهيّ عنه من قبلـه أيضـاً إمّا أن يكون محرّمـاً أو مكروهاً، والمراد منهما في مقـام الذنب، هو ترك الواجـب وفعل المحـرّم، وهذا في حدّه الأدنـى مرتبة العوام، وأمّا الذنب الذي يُنسـب إلى الأنبياء عليهم السلام والأولياء سـواء في القرآن الكريم أو الروايات الشـريفة أو الأدعية، فهو مرتبة أخرى أحد تفاسـيرها ترك الأولى، لأنّهم يعتبـرون أيّ التفاتٍ عن معبودهم وساحة قدسه ذنباً يستغفرون الله منه.

ولا بدّ من الإشـارة إلى أنّ معصومين مخلصون من قبل الله عزَّ وجلَّ، وقد حصّنهم بملكة نفسـانيّة قويّة تمنعهم باختيارهم من ارتكاب المعصـية، بل والتفكير بها أيضـاً لعلمهم بقبحها ومدى خطورتها وتأثيرها.

ورغم ابتلاء الإنسان بالشـيطان الذي أقسم **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[(١)]، إلّا أنّ الحقّ تعالى أجابه بأن لا سبيل لك على من تقرّب إليّ، واعتصم بي، **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَـوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**[(٢)]، وقال تعالى **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾**[(٣)].

آثار الذنوب:

إنّ من يلاحظ القرآن الكريم والروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يجد بوضوح آثاراً مهلكةً وخطيرةً للذنوب والمعاصي، في العوالم الثلاثة: عالم الدنيا، وعالم البرزخ، وعالم الآخرة.

وقبل الإشـارة إلى بعضـها لا بدّ من التذكير بأنّ الذنب بمثابة السـمّ القاتل أو دون ذلك، والخطير في هذا المجال هو عدم ارتباط التأثير والهلاك بمسألة العلم والجهل، ولـذا فإنّ من يرتكب الذنب يترتّب عليه الأثر الوضـعيّ والتكوينيّ، ويؤثّر ذلك على قلبه

(١) سورة ص، الآية: ٨٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٨.

وجسـمه وماله وولده وغير ذلك، حتّى لو كان جاهلاً بأثر الذنب، تماماً كمن يجهل بأثر السمّ، وهذا ما يدعونا للابتعاد عن المعصية والحذر من آثارها.

أ - الآثار الدنيويّة:

إنّ عالـم الدنيا هو عالم الابتـلاء والتكليف لعباد الله، الذي يعـدّ أحد أهداف خلق الإنسـان ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(١)، ولا يخلو حال الإنسـان غير المعصوم عن الطاعة والمعصية، وقد وعدنا الله وتوعّدنا، بأنّ لكلٍ منهما آثاره الخاصّة في الدنيا، فللطاعة آثارها وبركاتها العظيمة، التي تبعث الأمل فـي نفوس المؤمنين، وترغّبهم في العمل الصـالح والإكثار منه. وفـي مقابل ذلك فإنّ للمعصية والذنوب آثارها المهلكة أيضاً في الدنيا، لعلّ المطّلع عليها يحذر منها ويخاف من تبعاتها، فيحجم عنها ولا يقدم عليها.

وقد قسّم علماؤنا الأجلاء آثار الذنوب الدنيويّة إلى:

آثـار عامّة تترتّب بحسـبها على فعل الذنب، وهذا ما سـنتعرّض له في هذا الدرس، وآثار خاصّة لبعض الذنوب ترتبط بإتيانها خاصّة، كآثار الكذب والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وغيرها، نتعرّض لها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

الآثار العامّة:

وقد أحصـى علماء الأخلاق أكثر من سـتّين أثراً مهلكاً وخطيراً للذنوب في الدنيا، من جملتها:

١. غضب الله

وهذا من الآثار المهلكة في الدنيا والآخرة كما سـيأتي، والغضـب هنا بمعنى عقاب الله وعذابه، كما ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سـأله عمرو بن عبيد

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

عــن قولــه تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِـلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَـوَى﴾[١] «**ما ذلك الغضـب؟ فقال أبو جعفر** عليه السلام **هو العقاب**»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**مجاهرة الله بالمعاصي تعجل النقم**»[٣].

٢. الدخول في ولاية الطاغوت

فإنّ عصــيان الله وإطاعة الشــيطان توجب دخول العبد العاصي في ولايته وخروجه من ولاية الله، وقد يودي به إلى خروجه من الإيمان إلى الكفر بالله عزَّ وجلَّ. ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٤].

٣. قسوة القلب

والمراد بالقلب ذلك الجوهر الذي تتقوّم به إنســانيّة الإنســان، وقد أودعه الله فينا مفطوراً على التوحيد والعبوديّة والطاعة، وطاهراً أبيضــاً ســليماً رقيقاً شفّافاً ليس فيه أيّ نقصٍ وفســادٍ، لكن بارتكاب المعاصي والذنوب والابتعاد عن الله يقسو شيئاً فشيئاً، حتّى يصــبح أشــدّ قســوة من الحجارة: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...**﴾[٥].

ويتحوّل إلى قلب أسود لا يُفلح بعدها أبداً، ففي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**ما من عبدٍ إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك الســواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك الســواد حتّى يغطّي البياض، فـإذا غطّى البياض لم يرجع صـاحبه إلى خيرٍ أبـداً، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَـى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**»[٦]، «**وما من شــيء أفســد للقلب من الخطيئة**»[٧]،

(١) سورة طه، الآية: ٨١.
(٢) الكافي، ج١، ص١١٠.
(٣) غرر الحكم، ص١٠٠.
(٤) سورة الحجر، الآية:٤٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٦) الكافي، ج٢، ص٢٧٣.
(٧) الأمالي للطوسي، ص٤٣٨.

و«**ما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب**»[1] كما ورد في الأخبار عن المعصومين عليهم السلام.

٤. حرمان الرزق

قد يكون الرزق معنويّاً كالتسديد والحفظ والتأييد والشهادة في سبيل اللّه. وقد يكون ماديّاً ـ كما هو المتبادر عند عامّة الناس ـ كالمال والطعام وغير ذلك.

يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[2].

وفي الخبر: «**إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[3].

وورد أيضاً: «**إنّ العبد ليذنب الذنب فيزوي عنه الرزق**»[4].

والظاهر أنّه حرمان الزيادة في الرزق، لأنّ بعض الرزق مضمونٌ من قبل اللّه لكلّ مخلوق حيٍّ حتّى الفساق والكفرة والعصاة، ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**﴾[5]، لا حرمان أصل الرزق لهؤلاء لأنّه يعني قطع أصل الحياة وقبض أرواحهم.

وقد يكون الحرمان في رفع البركة من أرزاقهم وأموالهم وطعامهم كما ورد في رواية الزهراء عليها السلام: «**ويرفع اللّه البركة من رزقه**»[6].

٥. نقصان العمر

إنّ رأسمال الحياة الدنيا عند أهلها هو العمر الطويل والرزق الوفير، ولذا نرى أنّ غايتهم في هذا الزمان هو المحافظة على أبدانهم وصحّتهم ومأكلهم ومشربهم، ظنّاً في إطالة أعمارهم. أليست الأعمار والأرزاق بيد اللّه عزَّ وجلَّ؟! وقد دلّنا سبحانه على ما يوجب زيادة العمر والرزق ونقصانهما وعدم البركة فيهما، نحو برّ الوالدين

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٤٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٥، ص١٧٨.
(٤) الكافي، ج٢، ص٢٧٠.
(٥) سورة هود، الآية: ٦.
(٦) بحار الأنوار، ج٨٠، ص٢٢.

وعقوقهما، وصلة الرحم وقطيعتها ... .

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**مَن يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال**»[1].

ويخبرنا الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم عن هلاك الأمم السابقة، الذين ظلموا أنفسهم وعصوا الله، وطغوا في الأرض وقتلوا أنبياء الله، **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾**[2].

٦. زوال النعم وحلول النقم

يقول الله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما أنعم الله على عبد نعمةً فسلبها إيّاه حتّى يذنب ذنباً يستحقّ بذلك السلب**»[4].

٧. المرض

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أما إنّه ليس من عرقٍ يضرب ولا نكبةٍ ولا صداعٍ ولا مرضٍ إلّا بذنبٍ، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾**[5] قال، ثمّ قال عليه السلام: **وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به**»[6].

٨. نسيان العلم

وهو آفّة كبرى تعيد الإنسان إلى الجهل والغفلة، بعد أن كان عالماً ذاكراً، وما ذلك إلا لذنب ارتكبه، فقد روي عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اتقوا الذنوب فإنّها ممحقة**

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص١٤٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٤) الكافي، ج٢، ص٢٧٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٦) الكافي، ج٢، ص٢٦٩.

للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه...»[١].

٩. عدم استجابة الدعاء

الذنب من موانع استجابة الدعاء، فقد ورد في بعض الروايات أنّه لا يُسمع ولا تستجاب الحاجة، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك لا تقضِ حاجته، واحرمه إيّاها؛ فإنّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي**»[٢].

١٠. عدم التوفيق للعبادة

قد يُحرم المذنب من ثواب العبادة وبركاتها، سيما تكفير السيّئات، وتضاف سيّئته إلى سجلّ أعماله، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإنّ العمل السيّئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم**»[٣].

١١. فوات الغرض

وقد يجترئ البعض على الله فيسعى نحو المعصية ويهمّ بها، لكنّه لا يقدر على ذلك، ولا ينال مبتغاه، قيل إنّ رجلاً كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً له: «**عِظني بحرفين، فكتب إليه: من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوتَ لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣٧٧.

(٢) الكافي، ج٢، ص٢٧١.

(٣) م. ن، ص٢٧٢.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٥٣.

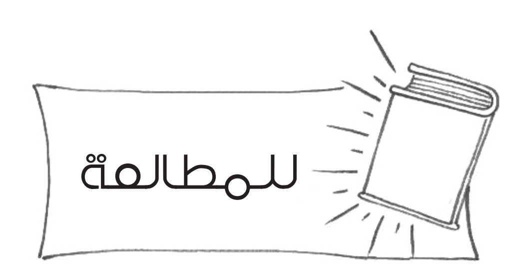


١- إنّ الطريـق إلـى اللّه تعالى - وهو طريق ذات الشـوكة -، لا يكـون إلّا من خلال عمليّة تربويّة تهذيبيّة للنفس الأمّارة بالسوء.

٢- إنّ ارتكاب الذنوب، وما يترتب عليها من آثار، هو بمثابة السـمّ القاتل، والحاجز المانع للوصول إلى اللّه تعالى.

٣- إنّ عالـم الدنيـا هو عالـم الابتلاء والتكليف لعبـاد اللّه، فالإنسـان إمّا أن يكون مطيعـاً للّه، وهـذا له آثاره وبركاته في بعث الأمل في نفوس المؤمنين، وإمّا يكون عاصياً للّه وهذا له أيضاً آثاره المهلكة، في الدنيا والآخرة.

٤- من الآثار العامّة التي تترتّب على فعل الذنب، هو قسوة القلب، والدخول في ولاية الطاغوت، وحرمان الرزق ونقصان العمر وغيرها.



سبع خصال للشهيد

قال رسول الله ﷺ: «للشهيد سبع خصال من الله:

أوّل قطرة من دمه مغفورٌ له كلّ ذنب.

والثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة: يُكسى من كسوة الجنّة.

والرابعة: يبتدره خزنة الجنّة بكلّ ريحٍ طيّبة، أيّهم يأخذه معه.

والخامسة: أن يرى منزلته.

والسادسة: يقال لروحه أسرح في الجنّة حيث شئت.

والسابعة: أن ينظر في وجه الله، وإنّها لراحة لكلّ نبيّ وشهيد»[1].

ويؤيّده ما روي عنه ﷺ أنّه قال: «إنّ للشهيد عند الله ستّ خصال:

أن يغفر له في أوّل دفقة من دمه.

ويرى مقعده في الجنّة.

ويحلى حلّة الإيمان.

ويزوّج من الحور العين.

ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، مرصّع بالدرّ والياقوت، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»[2].

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٦ - (٢) تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٨٧

2

الآثار البرزخيّة والأخرويّة للذنوب

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر:

«يا عباد الله ما بعد الموت لمَن لا يُغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته... يا عباد الله إنّ أنفسكم الضعيفة، وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير، تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به، ولا صبر لكم عليه، فاعملوا بما أحب الله، واتركوا ما كره الله»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٨.

ب - الآثار البرزخيّة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

تقدّم في الدرس السابق إحدى عشر ذنباً دنيويّاً للذنوب، وفي هذا الدرس نتعرّض للآثار البرزخيّة والأخرويّة لها.

ما هو البرزخ؟

البرزخ هو الحاجز والحدّ الفاصل بين الشيئين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[2] فقد فسّرت هذه الآية بأنّه الحاجز بين الماء المالح والماء العذب.

وقيل إنّ البرزخ هو الحدّ الفاصل بين الدنيا والآخرة، أو بين الموت والبعث، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وفي تفسير هذه الآية قال الإمام السجّاد عليه السلام: **«هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إنّ القبر لروضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار...»**[4].

وقيل إنّه الحاجز لهم من الرجوع إلى الدنيا والإمهال إلى يوم القيامة، وكلّ هذه المعاني متقاربة ترجع إلى معنى واحد ظاهراً.

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٩ و٢٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٤) بحار الأنوار، ج٦، ص١٥٩.

وقد تحدّثت الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ والأئمّة الهداة عليهم السلام عن أحوال البرزخ وأهوال القبر وسوف نشير إلى أهمّها:

١ . ضغطة القبر

ولا ينجو منها إلّا القليل القليل من عباد الله المؤمنين الصالحين. يروي أبو بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال** عليه السلام: **نعوذ بالله منها، ما أقلّ ما يفلت من ضغطة القبر ... وإنّ رسول الله** ﷺ **خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله** ﷺ **رأسه إلى السماء، ثمّ قال: مثل سعد يُضمُّ!...**»[١].

وورد في وصف شدّتها أنّ الأرض تضمّ الميت ضمّة تفري اللحم، وتطحن الدماغ، وتذيب الدهون، وتخلط الأضلاع، غير أنّ الشدّة والضعف فيها يدور مدار قوّة الإيمان وضعفه أو عدمه عند الميت.

ويروي الصادق عن آبائه عليهم السلام قال، قال رسول الله ﷺ: «**ضغطة القبر للمؤمن كفّارة لما كان منه من تضييع النعم**»[٢]، وسيأتي إن شاء الله في مكفّرات الذنوب أنّ المؤمن إذا لم تكفّر جميع ذنوبه في الدنيا، فإنّ ضغطة القبر تكون بمثابة الرحمة له لتكفّر عنه ما بقي من سيّئاته.

وأهمّ أسبابها سوء الخلق مع الأهل، كما ورد في الخبر عن سبب ضغطة سعد المتقدّم، والنميمة وكثرة الكلام والتهاون في الطهارة.

وهذه الضغطة لا تنحصر بالأرض فقط، بل ورد أنّ الهواء له ضغطة، والماء له ضغطة أيضاً.

---

(١) الكافي، ج٣، ص٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢١.

٢. سوء العذاب في القبر

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[١]، ويروى في تفسيرها عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**وإن المعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر...**»[٢].

وهذا العذاب يختصّ بغير المؤمنين المقرّبين؛ لأنّ قبر المؤمن روضة من رياض الجنّة، وأمّا الكافر فهو الذي قبره حفرة من حفر النيران، ينال فيه سوء العذاب يقول الإمام الصادق عليه السلام: «﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾، قال في قبره، ﴿**وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾، قال في الآخرة، ﴿**وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ**﴾، في القبر ﴿**وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**﴾، في الآخرة»[٣].

٣ . قرين السوء

وهو العمل السيّئ الذي يرافق الإنسان العاصي في قبره، ويكون معه إلى يوم حشره وحسابه.

يروى عن قيس بن عاصم أنّه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «**... يا قيس لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لا يحشر إلّا معك، ولا تحشر إلّا معه، ولّا تسأل إلّا عنه، ولا تبعث إلّا معه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن كان صالحاً لم تأنس إلّا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلّا منه، وهو عملك...**»[٤].

وتروي الزهراء عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم في رواية التهاون في الصلاة إنّ من آثارها في القبر ثلاثة: «**وأمّا اللواتي تصيبه في قبره فأولاهنّ يوكل الله به ملكاً يزعجه في**

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٨.

(٣) م. ن، ج٦، ص٢١٧.

(٤) م. ن، ج٧٤، ص١٧٧.

قبره، والثانية يضيّق عليه في قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره»[١].

٤ . الندم وطلب الرجوع

ويا لها من حسرة ما بعدها حسرة، أن يستيقظ الإنسان من نومته وغفلته، فيرى نفسه ميتاً قد أخذ إلى قبره «**الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا**»[٢].

فيتحسّر على ما فرّط في جنب الله، ويسأل الله الرجعة إلى الدنيا **﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[٣].

قال في إرشاد القلوب: «**إنّه يقول هذه الكلمة لما شاهده من شدّة سكرات الموت، وأهوال ما عاينه من عذاب القبر وهول المطّلع، ومن هول سؤال منكر ونكير، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤]**»[٥].

لمَ القيامة؟

وقبل الحديث عن آثار الذنوب الأخرويّة، لا بأس بالحديث عن الآخرة ويوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٦]، ويحشرون في ساحتها، وهو يوم عظيم مهول، بشّر الله فيه المؤمنين الصالحين بالأمن والأمان، وتوعّد الظالمين المجرمين سوء الحساب، يوم **﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾**[٧]، **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾**[٨].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٤، ص٤٣.
(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ و١٠٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٥) إرشاد القلوب، ج١، ص٥٦.
(٦) سورة المطفّفين، الآية: ٦.
(٧) سورة المزمل، الآية: ١٧.
(٨) سورة الحجّ، الآية: ١.

لقد شدّد الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم على مسألة المعاد في عشرات السور القرآنية، حتّى قيل إنّ ثلث القرآن يرتبط بأحوال الآخرة وما بعدها...

نذكر بعضاً ممّا قاله في كتابه الكريم **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾**[١]، **﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾**[٢].

وخلاصة الكلام؛ إنّه بعد طيّ منازل الآخرة وعقباتها وصراطها، فإنّ المصير إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، وبيد الإنسان تحديد المصير؛ **﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾**[٣].

ج - الآثار الأخرويّة

لقد أشار الله في القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام إلى آثار كثيرة للكفر والعصيان والطغيان والذنوب في الآخرة، تحذيراً لنا من مغبّة الوقوع فيها، لعلّنا نرشد أو نعقل، فلا نكون من أصحاب السعير، سنقتصر على ذكر أهمّها:

١. الافتضاح

إنّ الله يستر برحمته على المذنب في الدنيا، لعلّه يتوب ويرجع إلى ربّه، ولكنّ الفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأمام الخلق أجمعين، سيّما أمام معارفه وأقربائه، ورد في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إلهي قد سترت علي ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الآخرة، إلهي قد أحسنت إذ لم تظهرها لأحدٍ من عبادك الصالحين فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد...**»[٤].

يقول العلامة المجلسي: «**وفي قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك**

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩ و٥٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٤) مقطع من المناجاة الشعبانية.

سرور للمحقّ وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم ...»[١].

ولذا ينبغي على العاقل أن يخاف هذا اليوم، وأن يخاف الفضيحة أمام الله عزَّ وجلَّ وأمام الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، وأمام الناس أجمعين، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**وأمّا علامة الموقف فستّة:**

أيقن بالله حقّاً فآمن به.

وأيقن بأنّ الموت حقّ فحذره.

وأيقن بأنّ البعث حقّ فخاف الفضيحة.

وأيقن بأنّ الجنّة حقّ فاشتاق إليها.

وأيقن بأنّ النار حقّ فظهر سعيه للنجاة منها.

وأيقن بأنّ الحساب حقّ فحاسب نفسه»[٢].

٢. المذلّة

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣].

بدءاً من أخذ أرواحهم: «**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**»[٤].

إلى الوقوف في المحشر أذلّاء، سكارى غارقين في الحياء، يتصبّب العرق من وجوههم؛ **﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾**[٥]، و**﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾**[٦]، **﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾**[٧].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص١٦٢.

(٢) تحف العقول، ص١٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٢٧.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٧.

(٥) سورة عبس، الآية: ٤٠.

(٦) سورة عبس، الآية: ٤١.

(٧) سورة المعارج، الآية: ٤٤.

إلـى دخول النـار: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيـزُ الْكَرِيمُ﴾[١]، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِـرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾[٢].

٣. الحسرة والندامة

يتحسّر الظالم على الفترة والمهلة التي أعطيت له في الدنيا ولم يغتنمها، بل أعرض وتولّـى وكـذّب بآيات ربّه ورسـله واليوم الآخر، وها هو اليوم أيقـن به عين اليقين ولات حين مناص، فيقول: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾[٣]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْـهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُـولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِـذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[٤].

٤. العمى

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[٥].

وبكلّ بساطة فإن الجواب لحاضر لقد كنت أعمى البصيرة في الدنيا، لذلك تحشر يوم القيامة على ما كنت عليه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٦].

٥. نسيان اللّه له

﴿قَـالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[٧]، فلم تتذكّر أوامر اللّه ونواهيه، بل ونسـيت وغفلت عن لقائـه ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُـمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[٨].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١٢٤ و١٢٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٧) سورة طه، الآية: ١٢٦.

(٨) سورة الجاثية، الآية: ٣٤.

٦. عدم التشرّف بلقاء الله

حيث إنّ الآيات والروايات تشير إلى تشرّف المؤمن يوم القيامة بلقاء الله، ومحاسبة الله الرحيم بنفسه لعبده المؤمن، وأمّا غير المؤمنين من الكفّار والعاصين، فإنّ الله لا ينظـر إليهـم ولا يزكّيهم ويوكل بهم ملائكة ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

ومن الآثار الأخرويّة أيضاً: غضـب الله، اللعنة، سـوء الحساب، طول الوقوف في المحشـر، العذاب الأليم، تجسـيم الأعمال، الحشر بصور قبيحة بشـعة، دخول النار، الخلود في النار، ومن تدركه في آخر المطاف رحمة الله فتأخّر دخوله إليه، مضافاً إلى صور ومشاهد وحالات العذاب في جهنّم التي لا يعجز عن وصفها الفكر البشريّ.

المحكمة الإلهية وشهود الآخرة

هناك محاكم عديدة تحاكم الإنسان في الدنيا، بدءاً من محكمة النفس أو الضمير، ثمّ محكمة القانون ومحكمة المجتمع، ومحكمة التاريخ، إلّا أنّ الإنسان الطاغية والداهية الماكر باسـتطاعته التملّص والتخلّص منها جميعاً، بأساليبه الخدّاعة والمال والرشوة وشراء الشهود وتزوير الوقائع وإخفاء الأدلّة وغير ذلك ... .

لكـن يقـدم في الآخرة ليحاكم أمام الله سـبحانه، في محكمة العـدل الإلهيّ، حيث يكون القاضي والحاكم هو الله، والشهود كثر، والأدلّة حاضرة (تجسّم الأعمال).

والحاجة إلى الشـهود والأدلّة والجواب عند إنكار الطغاة والعصاة، وأمّا المؤمن فلا يحتاج إلى ذلك؛ لأنّه يعترف أمام ربّه ويقرّ له، فيقول له ربّه يا عبدي فعلت كذا. فيقول المؤمـن: نعم يا ربّ، ويتكـرّر منه الاعتراف حتّى يقول له الله قـد غفرتها لك، وينقلب إلى أهله مسروراً.

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

وأما غير المؤمن فإنّ له سوء الحساب ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

من هم الشهود

١. الشاهد الأوّل والأخير هو الله

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[2]. ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[3].

يروى أنّ الإنسان العنيد الظلوم يحاجج اللّه يوم القيامة، ويكذّب بكلّ الشهود ويقول للّه عزّ اسمه: إنّ هذه الجوارح والجوانح أنت أنطقتها، وهؤلاء الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة (عليهم السلام جميعاً) يأتمرون كلّهم بأمرك. فيقول اللّه له: إنّي أنا اللّه الذي لا إله إلّا أنا أشهد عليك بأنّك فعلت كذا وفعلت كذا، ولات حين مناص.

وفي الخبر الشريف: «**اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإنّ الشاهد هو الحاكم**»[4].

٢. النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[5]. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا﴾[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يخبرون ويعاقبون**»[7].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٢) سورة يونس، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٦.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٧) بحار الأنوار، ج٧، ص٣٢٥.

وقال عليه السلام في قوله تعالى ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾[١]: «**فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّ وجلّ، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق صدقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذبناه يوم القيامة**»[٢].

٣. الملائكة

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**هما الملكان، وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قال عليه السلام: هو الملك الذي يحفظ عليه عمله...**»[٤].

وفي دعاء كميل «**وكلّ سيّئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين، الذين وكّلتهم بحفظ ما يكون منّي، وجعلتهم شهوداً عليّ مع جوارحي، وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم ...**».

٤. الجوارح والجوانح

وهي الجلود والأيدي والأرجل والألسن، والسمع والبصر والفؤاد، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٦]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾[٧].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٢) الكافي، ج١، ص١٩٠.
(٣) سورة ق، الآية: ١٧.
(٤) بحار الأنوار، ج٥، ص٣٢٣.
(٥) سورة فصلت، الآيتان: ١٩ و٢٠.
(٦) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢ و٢٣.
(٧) سورة النور، الأيتان: ٢٣ و٢٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1] قال عليه السلام: «**يُسأل السمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه**»[2].

٥. الأرض

تشهد للمؤمن بما قام عليها من الطاعات والصلاة، وتشهد على العاصين بما عصوا على ظهرها.

عن أبي عبد الله عليه السلام في جواب من سأله: «**يصلّي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟، قال** عليه السلام: **لا بل ها هنا وها هنا؛ فإنّها تشهد له يوم القيامة**»[3].

٦. الأيّام

وهي عمر الإنسان الذي ينقضي يوماً بعد يوم، ليلاً ونهاراً، وأيّام الإنسان ثلاثة كما ورد في الرواية: يوماً مضى لن يعود، ويومٌ يأتي وقد يأتي وأنت لست فيه، ويوم أنت فيه فانظر ماذا تفعل.

والإنسان مسؤول عن عمره يوم القيامة فيما أمضاه، وبالتالي فإنّ الأيّام ستشهد عليه كما ورد الخبر الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما من يوم يأتي على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيّ خيراً واعمل في خيّراً، اشهد لك به يوم القيامة، فإنّك لست تراني بعدها أبداً. قال** عليه السلام **وكان عليّ** عليه السلام **إذا أمسى يقول مرحباً بالليل الجديد والكاتب الشهيد، اكتبا على اسم الله، ثمّ يذكر الله عزَّ وجلَّ**»[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٧.

(٣) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٨٦.

(٤) الكافي، ج٢، ص٥٢٣.



١ ـ إنّ عالم البرزخ هو الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو عالم فيه أثار لذنوبنا منها:

ـ ضغطة القبر وسوء العذاب فيه.

ـ قرين السوء (العمل السيّئ).

ـ الندم والحسرة.

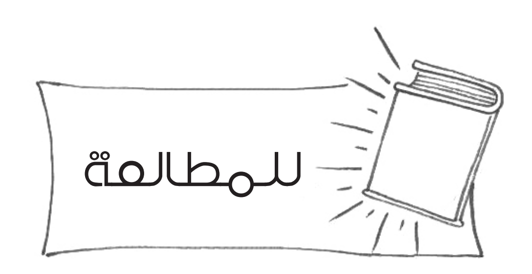
٢ ـ وإن عالم الآخرة هو يوم الحساب والميزان وهول الموقف، وهو عالم ـ أيضاً ـ فيه أثار لذنوبنا، منها:

ـ افتضاح الذنوب المذنبين بعد سترها في الدنيا.

ـ المذلّة وتصبّب العرق من الوجوه.

ـ ينساه الله بعدما نسي العبد ربّه في الدنيا.

٣ ـ إن العاصي المتكبّر والطاغوت في الدنيا، قد يهرب من المحاكمة بقدراته الشيطانية، ولكن يوم القيامة لا مفرَّ، ويكون الله تعالى شاهد على جرائمه، هذا فضلاً عن شهادة جوارحه وأعضاء جسده التي ارتكب بها أفظع الجرائم والآثام.



المبادرة إلى صالح الأعمال

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال قال:

«فاتقوا اللّه عباد اللّه وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحّلوا فقد جُدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنّة أو النار إلّا الموت أن ينزل به، وإنّ غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدّة، وإنّ غائباً يحدوه الجديدان؛ الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة، وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة، لمستحقّ لأفضل العدّة، فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً، فاتقى عبدٌ ربّه، نَصَحَ نفسه وقدم توبته وغلب شهوته، فإنّ أجله مستورٌ عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكلٌّ به، يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه بالتوبة ليُسوفها، إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشقوة. نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامةٌ، ولا كآبة».

نهج البلاغة، الخطبة ٦٤، ص٩٥

3

الاستخفاف بالذنوب

من دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام:

«إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخفّ، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت لي وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخى عليّ...».

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال:

«**أشدّ الذنوب (عند الله) ذنب استهان به راكبه**»[١]، **وقال** عليه السلام **: أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه**»[٢].

لقد شدّد الله في القرآن الكريم على مسألة الطاعة والمعصية، فأولاهما اهتماماً كبيراً في العديد من الآيات القرآنية، تارة من جهة الترغيب بفعل الطاعات واكتساب الحسنات ، وأخرى من جهة الترهيب والتحذير عن فعل المعاصي والموبقات واكتساب السيّئات. هذا وقد حدّد القرآن - أيضاً- نوعيّة العلاقة مع الله الخالق الموجد لهذا الإنسان.

كيف ينظر الإنسان إلى هذه العلاقة؟

هل هي علاقة العبد مع سيّده وخالقه؟ أم أنّها علاقة العبد الآبق مع مولاه؟ وهل هي علاقة العبوديّة لله أم العبوديّة للهوى والشهوات والشيطان؟ وهل هي علاقة المعترف بحقّ سيّده ووجوب شكر نِعمه، أم المستخفّ به وبالنعم التي أنعمها الله عليه؟

فالله عزَّ وجلَّ الذي هو أرحم الراحمين هو أيضاً شديد العقاب. قد حذّر من قهّاريّته وسطوته وغضبه، والجرأة على معاصيه والاستخفاف بحقّه، وارتكاب نواهيه مهما كبرت ومهما صغرت، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «**لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا إلى مَن اجترأتم**»[٣].

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣١٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٥٩، الرقم ٤٧٧.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٧٠.

ولذا ينبغي على العبد المؤمن التقي المعترف بحق العبوديّة والطاعة، أن لا يستخفّ بأي ذنبٍ مهما صغر في عينه؛ لأنّ ذلك سيكون مدعاة أيضاً للمداومة عليه، وارتكاب ما هو أكبر منه.

ولقد شدّدت الروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على خطورة هذا المرض، وحذّرت منه وذكرت آثاره الخطيرة، التي تزيد الإنسان غرقاً في أوحال الغفلة وسكرة الابتعاد عن الله.

روي عن أبي أسامة زيد الشحّام قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«**اتقوا المحقّرات من الذنوب فإنّها لا تغفر.**

قلت: ما المحقّرات؟

قال: **الرجل يذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك**»[1].

وقد يصاب الإنسان بمرض الاستخفاف ويعتاد على ذلك إمّا غفلة وجهلاً، وإمّا عناداً وتعنّتاً، وهذا ما يؤدّي إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وبناءً على الروايات الشريفة، فإنّ مفهوم الاستخفاف مفهوم عامّ له العديد من المصاديق سواء من حيث حال المستخف، أم من حيث مراتب الاستخفاف. وسوف نشير بنحو إجمالي لا على سبيل الحصر إلى بعض هذه المراتب:

فالمستخفّ تارة يكون مستخفاً بنفسه ظالماً لها لا يؤدّي حقّها، وتارة أخرى يستخفّ بعمله أو بنوع الذنب الذي يرتكبه سواء من حيث ترك بعض الطاعات، أم فعل بعض المعاصي. والأعظم من كلّ ذلك هو استخفاف الإنسان بربّه وخالقه، فيتخذ آيات الله وما أنذر به هزواً.

وقد أشار القرآن إلى هذه الطائفة في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾[2].

(١) الكافي، ج٢، ص٢٨٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إيّاكم والتهاون بأمر الله عزَّ وجلَّ، فإنّه من تهاون بأمر الله أهانه الله يوم القيامة**»[1].

أنواع الاستخفاف

١. الاستخفاف بأمر الله وآياته

يقول الله تعالى: ﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا**﴾[2].

٢. التهاون في العبادة

سواء من حيث أصل القيام بها أم من حيث الاتيان ببعض العبادات وترك البعض الآخر: كالاتيان بالصلاة والصوم وترك الحج والخمس مثلاً. أو من حيث الاستخفاف في أداء حقّ بعض العبادات بذاتها: كالاستخفاف بالصلاة سواء أيضاً من حيث الأجزاء والشرائط أو حضور القلب والخشوع فيها... الخ وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بصلاته**»[3].

٣. التهاون في أكل المال الحرام والنجاسات

يروى أن رجلاً أتى إلى الإمام الباقر عليه السلام فقال له: «**وقعت فأرة في خابية[4] فيها سمن أو زيت فما ترى في أكله؟**.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: لا تأكله.

فقال له الرجل: الفأرة أهون عليَّ من أن أترك طعامي من أجلها.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٩، ص٢٢٧.

(٤) الخابية: هي الجرة الكبيرة لتخزين السمن وما شابه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنّك لم تستخفّ بالفأرة وإنّما استخففت بدينك...»[1].

ولذا لا بدّ للمؤمن من عدم الاستخفاف بطعامه ولا سيّما اللحوم، من حيث الطهارة والنجاسة؛ لأنّ لها آثاراً تكوينيّة روحيّة على جسمه وقلبه، وأثاراً تكليفية تشريعيّة من حيث الحرمة والعقاب.

وكذلك لا بدّ من مراعاة المال الحرام والمشتبه؛ لأنّه سيسأل عنه يوم القيامة، من أين جيء به؟ وفي أين تمّ صرفه؟

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة من بين يدي الله حتّى يسأله عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين كسبته، وأين وضعته، وعن حبّنا أهل البيت عليهم السلام**»[2].

٤. التهاون في عباد الله

عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث المناهي - قال: «**ومن استخفّ بفقير مسلمٍ فقد استخفّ بحقّ الله، والله يستخفّ به يوم القيامة إلا أن يتوب**»[3].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**لا تحقرنّ عبداً آتاه الله علماً فإنّ الله له يحقره حين آتاه إياه**»[4].

٥. احتقار صغائر الذنوب

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ألا لا تحقّرنّ شيئاً وإن صغر في أعينكم، فإنّه لا**

(١) التهذيب، ج١، ص٤٢٠

(٢) بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٩.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٦٦.

(٤) بحار الأنوار، ج٢، ص٤٤.

صغيرة بصغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة بكبيرة مع الاستغفار، ألا وإنّ الله سائلكم عن أعمالكم...»[1].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لا تحقرنّ صغائر الآثام فإنّها الموبقات، ومن أحاطت به محقّراته أهلكته**»[2].

آثار الاستخفاف والتهاون

للاستخفاف والتهاون بأمر الله ودينه وآياته، وللذنوب والمعاصي آثارٌ خطيرة في الدنيا والآخرة، سوف نشير إلى أهمّها:

١ ـ تورث الغفلة عن ذكر الله.

٢ ـ قساوة القلب وأسوداده.

٣ ـ الخروج من ولاية الله والدخول في ولاية الشيطان.

٤ ـ طريق إلى ارتكاب الكبائر.

٥ ـ أهانه الله وافتضاحه يوم القيامة.

٦ ـ نقصان العمر والرزق.

٧ ـ بغض الله له.

٨ ـ نسيان الله له في الآخرة.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾[3].

٩ ـ العذاب في الآخرة.

﴿**وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[4].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١١١.

(٢) غرر الحكم، ص١٨٦، الحديث ٣٥٦٩.

(٣) سورة طه، الآيات ١٢٤ إلى ١٢٦.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٩.

١٠ ـ الحرمان من الشفاعة.

١١ ـ الخلود في النار.

﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[١].

الاستخفاف بالصلاة

يقول الله عزَّ وجلَّ في حكم كتابه: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾**[٢].

لا يخفى ما للصلاة من الأهميّة والفضل عند الله عزَّ وجلَّ، فهي الصلة والرابطة بين العبد ومولاه، وقد أمرنا بإقامتها، وإتيانها، والمحافظة عليها، والاستعانة بها. وفي المقابل نهانا عن تركها والاستخفاف بها، أو الاشتغال عنها بالبيع واللهو.

وهي آخر وصايا الأنبياء والأولياء عند مماتهم عليهم السلام، وهي قرّة عين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل الأعمال والفرائض بعد المعرفة. وأن الاستخفاف بها يؤدّي إلى حرمان شفاعتهم عليهم السلام. وفي المقابل فهي أبغض الأعمال إلى الشيطان واتباعه، حيث ينادي عند الصلاة ورؤية عباد الله يصلون بالويل والثبور، ويقول: أطاعوا فعصيت، وسجدوا فأبيت، وقد استنفر جنوده ليرى ما يفعل بهؤلاء العباد، وكان قرارهم وما اجتمع عليه أمرهم هو اتيانهم من ناحية الصلاة وصرفهم عنها إما بتركها، أو إلهائهم عنها، وعدم الخضوع والخشوع فيها، وإذا فعل العبد ذلك استحوذ عليه الشيطان فأصبح من جنوده وأعوانه والعياذ بالله.

مراتب الاستخفاف بالصلاة

١ . **الاستخفاف بأصل الصلاة:** بمعنى عدم اتيانها وتركها كليّاً، ومثل هذا الإنسان يموت يهودياً أو نصرانياً كما ورد في الخبر.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

٢. **اتيانهـا تـارة وتركهـا أخـرى**: حيـث أن بعض النـاس مثلاً لا يصـلّي إلا في شـهر رمضان.

٣. **اتيان بعضها وترك الباقي منها.**

كترك صلاة الصبح مثلاً.

٤. **الاتيان بها لا في وقتها ووقت فضيلتها بل عند التذكر.**

٥. **الاشتغال بالعمل والبيع والتجارة في وقتها ولا سيما صلاة الجمعة.**

٦. **عدم الاتيان بها جماعة مع القدرة عليها.**

٧. **عدم الاهتمام بأجزائها وشرائطها كالوضوء، والقراءة، وحسن الركوع والسجود فيها.**

٨. **عدم حضور القلب فيها.**

رواية الزهراء عليها السلام

عن فاطمة سـيّدة النســاء وابنة سـيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، أنّها سـألت أباها محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم فقالت:

«يا أبتاه، ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة من تهاون بصـلاته من الرجال والنسـاء، ابتلاه الله بخمس عشـرة خصـلة: سـتّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في يوم القيامة إذا خرج من قبره.

فأمّا اللواتي تصيبه في دار الدنيا:

فالأولـى: يرفـع الله البركـة مـن عمـره، والثانيـة يرفـع الله البركـة مـن رزقـه، والثالثة يمحو الله عزَّ وجلَّ سيماء الصالحين من وجهه، والرابعة كل عمل يعمله لا يؤجر عليه، والخامسة لا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظٌّ في دعاء الصالحين.

وأمّا اللواتي تصيبه عند موته:

فأولاهنّ أنّه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأمّا اللواتي تصيبه في قبره:

فأولاهنّ يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيق عليه قبرُه، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره:

فأولاهنّ أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يحاسبه حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم»[1].

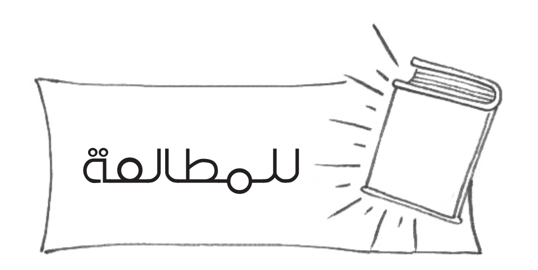


١ ـ إنّ الاستخفاف بالذنوب (كبيرها وصغيرها) هي من أشدّ الذنوب عند الله تعالى.

٢ ـ إنّ الاستخفاف بأحكام الله تعالى والتهاون في عبادته له آثار كثيرة، منها قساوة القلب والغفلة عن ذكر الله تعالى، والأعظم هو الخروج من ولاية الله والدخول في ولاية الشيطان.

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٣؛ بحار الأنوار، ج٨٠، ص٢١.



استخفاف ثعلبة

قيل أن ثعلبة بن حاطب الأنصاريّ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً.

فقال الرسول ﷺ: ويحك يا ثعلبة اذهب واقنع بما عندك، فإنّ الشاكر أحسن ممّن له مال كثير لا يشكره، فذهب ورجع بعد أيّام، وقال يا رسول الله ﷺ: أدع الله تعالى أن يعطيني مالاً.

فقال الرسول ﷺ: أليس لك بي أسوة فإني بعزّة عرش الله لو شئت لصارت جبال الأرض لي ذهباً وفضّة.

فذهب ثمّ رجع فقال: يا رسول الله ﷺ سل الله تعالى أن يعطيني مالاً فإنّي أؤدّي حقّ الله وأؤدّي حقوقاً وأصل به الرحم.

فقال الرسول ﷺ: **اللهمّ أعطِ ثعلبة مالاً.**

وكان لثعلبة غنيمات فبارك الله فيها حتّى تتزايد كما تزايد النمل، فلمّا كثر ماله كان يتعاهده بنفسه، وكان قبله يصلّي الصلوات الخمس في المسجد مع الرسول ﷺ، فبنى مكاناً خارج المدينة لأغنامه فصار يصلّي الظهر والعصر مع الرسول ﷺ وصلاة الصبح والمغرب والعشاء في ذلك المكان، ثمّ زادت الأغنام فخرج إلى دار كبير بعيدٍ عن المدينة، فبنى مكاناً فذهبت منه الصلوات الخمس والصلاة في المسجد والجماعة والاقتداء برسول الله ﷺ، وكان يأتي المسجد يوم الجمعة لصلاة الجمعة فلمّا كثر ماله ذهب منه صلاة الجمعة، فكان يسأل عن أحوال المدينة ممن يمرّ عليه.

فقال الرسول ﷺ: **ما صنع ثعلبة؟**

قالوا: يا رسول الله إنّ له أغناماً لا يسعها واد، فذهب إلى الوادي الفلاني وبنى فيه منزلاً وأقام فيه.

فقال الرسول ﷺ: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة...».

وتتمّة القصّة إنّه نزلت آية الصدقة **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾** فأرسل الرسول ﷺ رجلين إلى ثعلبة لأخذ الصدقة منه، ولمّا أخبراه مقالة الرسول ﷺ قال لهما: هذه أخت الجزية. وامتنع عن دفعها، فرجع الرجلان إلى النبيّ ﷺ فلمّا رآهما قال لهما: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ما فعل ثعلبة.

مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٢٥٦

4

المجاهرة بالإثم

من دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام سيد الساجدين عليه السلام:

«أنا يا ربِّ الذي لم أستحيك في الخلاء، ولم أراقبك في الملإ، أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيّدهِ اجترأ، أنا الذي عصيت جبّار السماء، أنا الذي أعطيتُ على معاصي الجليل الرُشى، أنا الذي حين بُشّرتُ بها خرجتُ إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما ارعويتُ، وسترت عليَّ فما استحييت..».

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1].

من الصفات القبيحة، التي قد يتّصف بها بعض العصاة والفسّاق الذين خرجوا من ولاية اللّه ودخلوا في ولاية الطاغوت، صفة الطغيان والمجاهرة بالإثم والفجور.

إذ أنّ هناك بعض الأفراد ممّن يرتكب المعاصي، لكنّه يستتر بها خوفاً من افتضاحه بين الناس، وهذا الإنسان مع جرأته على مولاه، إلاّ أنّه لا يجرؤ على المجاهرة بما يقوم به.

وهنــاك بعض آخر من العصــاة، أكثر جرأةً من غيره؛ فهو مــع جرأته على اللّه فإنّه يتجــرّؤ عليــه طغياناً وعلــواً واســتكباراً في الأرض، بارتكابه المعاصــي ســرّاً وعلانية، اســتهتاراً واســتخفافاً بربّه وبنفســه وبغيره، وهو لا يبالي بما قال وبما فعل ولا بما قيل فيه.

وبعض من هؤلاء قد يرتكب المعصية العلنيّة جهلاً وغفلةً، إلاّ أنّ البعض الآخر منهم يرتكبها مع علمه بذلك عمداً وقصــداً وعن سابق إصرارٍ وتصميم، كما هو حال فرعون الذي بارز اللّه بالمحاربة، وادّعى الربوبيّة وأظهر الفسوق والفجور، وهذا ما ينطبق على معاوية ويزيد وفراعنة هذا العصر الصهاينة لعنهم اللّه.

وقــد حذّرنــا اللّه في كتابــه العزيز وعلى لســان النبيّ ﷺ وأهــل البيت عليهم السلام من الطغيان مطلقاً، والمجاهرة بالإثم والمعصــية والفسوق والفساد في الأرض، وقد توعّد اللّه على ذلك بالانتقام والهلاك والخذلان والعذاب الأليم.

فعلــى الإنســان العاقل أن لا يذنب بتاتاً إمتثــالاً لأمر ربّه القائــل: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٢.

وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾[١] ، ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٢].

لأنّ المعصية معصيةٌ سواء كانت صغيرة أم كبيرة، وسواء كانت سريّة أم علنيّة، لأنّ العبد العاصي بمعصيته قد تعرّض لسخط ربّه وغضبه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إتّقوا معاصي الله في الخلوات فإنّ الشاهد هو الحاكم**»[٣].

إلاّ أنّ التتبّع في القرآن والروايات يشير إلى أنّ حال العالِم بالمعصية يختلف عن حال الجاهل بها.

وكذلك فإنّ المختار في تركها أو فعلها يختلف حاله عن المضطرّ إليها.

وأيضاً فإنّ حال المستتر بالمعصية ـ ورغم طغيانه واستحقاقه للعقاب ـ أهون حالاً من المعلن بها؛ لأنّ المستتر قد يستر الله عليه فلا يفضحه، ويمهله حتّى يستغفر، ويتوب من ذنبه إلى ربّه فيتوب الله عليه.

وأمّا المعلن للمعصية – وخاصّة مع علمه بها – فقد ورد التحذير بنزول النقمة عليه حين ارتكابه للمعصية، وأنّه لا أمل له بالنجاة، وأنّ فعله مانع من التوبة، وأنّ فعله أشدّ وأعظم ظلماً، وأنّ عذابه أكبر، وأنّه يخلّد في النار...

آثار المجاهرة بالذنب

للمجاهرة بالذنب آثاره الخاصّة به، وقد ذكرت في القرآن الكريم، والروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، ممّا يؤكّد على خطورتها ووجوب الحذر منها والابتعاد عنها، نذكر منها:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣٩.

١. تعجيل النقم

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تعجّل النقم**»[١].

٢. أشدّ المآثم

«**إيّاك والمجاهرة بالفجور فإنّها من أشدّ المآثم**»[٢].

٣. عدم العافية

«**كلُّ أمّتي معافة إلاّ المجاهرين الذين يعملون العمل بالليل فيستره ربّه، ثمّ يصبح فيقول: يا فلان إنّي عملت البارحة كذا وكذا...**»[٣].

٤. الخذلان

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**المذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له**»[٤].

٥. عدم النجاة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة، إلاّ لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثمّ تلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾**»[٥].

الإبتهاج بالذنوب والمعاصي

يُشاهد أنّ بعض العصاة - مضافاً إلى ارتكابهم الذنب والمجاهرة به علناً - يظهرون طغيانهم وتبجّحهم أمام الآخرين بأنّه كذّب وسرق وزنى ونظر... الخ، مبتهجاً بذلك ومتلذّذاً بما قام به، فرحاً مسروراً بذنبه، وهذا من أقبح الصفات التي قد يتّصفُ بها العبد العاصي، وقد ورد التحذير والنهي عنها وذكر بعض آثارها.

---

(١) غرر الحكم، ص١٠٠.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١١، ص٣٦٨.
(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص٩٨٨.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣٥٦.
(٥) الكافي، ج٨، ص١٢٨.

روي عـن الإمام السـجّاد عليه السلام أنّه قال: «**إيّاك والإبتهـاج بالذنب، فإن الإبتهاج به أعظم من ركوبه**»[1].

وعنه أيضاً: «**لا وزر أعظم من التبجّح بالفجور**».

من آثار الإبتهاج بالذنب:

١. الخسران:

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**لا يفلح من يتبجّح بالرذائل**».

٢. الذلّ:

وعنه عليه السلام أيضاً: «**من تلذّذ بمعاصي الله أورثه الله ذلاًّ**».

٣. العذاب الأليم:

وقال عليه السلام: «**حلاوة المعصية يفسدها أليم العقوبة**».

٤. دخول النار:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باكٍ**».

الركون إلى الظالمين

قـال تعالى: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ**﴾[2].

من المسـائل الهامّة المرتبطة بالمجاهرة بالفسق والفجور والطغيان، عدم الركون إلى هؤلاء الظلمة الطغاة، وإعانتهم على إثمهم ومعاصيهم؛ لئلاّ تمسّنا النار بإتباعهم، وعدم نهيهم عن المنكر، والدخول فيما دخلوا فيه، ومحبّة بقائهم، وبالتالي بقاء الفساد والظلم في المجتمع وشيوعه.

لـذا فإنّ أدلّة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تدلّ على لزوم الوقوف في

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢ ص٩٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

وجه العصاة والظلمة، وردعهم عن ظلمهم، وعدم إعانتهم في إثمهم ومعاصيهم.

وهذا ما قام به الأنبياء العظام عليهم السلام والأئمّة الطاهرون عليهم السلام ومن بعدهم العلماء المجاهدون والمؤمنون الأتقياء؛ إذ نهضوا بكلّ ما أوتوا من قوّة وعزم، مستعينين بالله، لا يخشــون معــه أحداً، ولا يخافون فــي الله لومة لائم، لتبليغ رســالات الله وإعلاء كلمة التوحيد وإقامة العدل في الأرض.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصـلاح فـي بـلادك، فيأمن المظلومون من عبـادك، وتقام المعطلّـة من حدودك... وقـد علمتـم أنّـه لا ينبغـي أن يكون على الفـروج والدمـاء، والمغانم والأحـكام وإمامة المسلمين، البخيلُ فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيُضّلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدّول فيتّخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشـي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنّة فيُهلك الأمّة»**[1].

وها هو الإمام الحسـين عليه السلام ، سـيّد الشهداء، ورمز التضـحية والإباء، والشجاعة والعزّة، يقف في وجه يزيد الفاسق الظالم، قائلاً له بعد طلب البيعة منه:

«إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسـالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسـق شـارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...»[2].

وقال عليه السلام في جمعٍ من أصحابه وأهل بيته، مستنهضاً لهم للقيام في وجه يزيد:

«فإنّكـم إلّا تنصـرونا وتنصـفونا، قـوي الظلمـة عليكـم، وعملـوا فـي إطفاء نور نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم، وحسبنا الله وعليه توكّلنا، وإليه أنبنا وإليه المصير»[3].

هؤلاء هم قدوتنا في الحياة، نتعلّم منهم دروس القيام بالتكليف، والتضـحية بالنفس

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٢٥.

(٣) تحف العقول، ص٢٣٩.

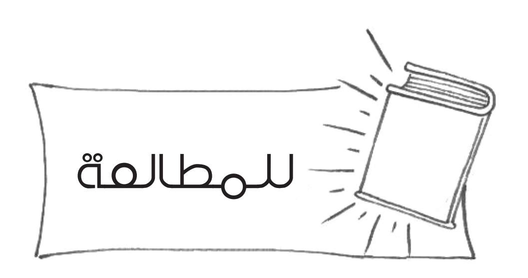
والولـد، وهـو معنى الحياة العزيزة لا الذليلـة، ونتعلّم الوقوف في وجـه الظالم الطاغية المجترئ على الله وعباده، وتكليفنا اليوم تلبية نداء النصرة لله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، للوقوف في وجه الطاغوت الأكبر وأعوانه، رغم قلّة الناصر وتعاظم الجائر.



١ ـ إنّ أسـوداد قلب الإنسان بالذنوب لا يجعله يغرق فقط في وحل المعاصي والآثام، بل يدفعه ذلك إلى المجاهرة بما يقوم به.

٢ ـ لقـد حـذر المولى عـزَّ وجلَّ من المجاهـرة بالمعصـية والإثم، ووعـد بالانتقام والهلاك والخذلان لكل من يتجرئ على ذلك.

٣ ـ إنّ مـن أبـرز مصـاديق المجاهـرة بالإثـم هو الركـون إلى الظالميـن والطغاة، وإعانتهم على إثمهم وطغيانهم.



روي عن صفوان الجمّال

قال: دخلتُ على الإمام الكاظم عليه السلام .

فقال عليه السلام لي: يا صفوان، كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً.

قلت: جعلت فداك أيّ شيء؟

قال عليه السلام : إكراؤك [إعارتك] جمالك من هذا الرجل، - يعني هارون -

قال: واللّه ما أكريته أشـراً ولا بطراً ولا للصـيد ولا للهو، ولكني أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكّة -، ولا أتولّاه بنفسي، ولكن ابعث معه غلماني.

فقال عليه السلام لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم ؟

قلت: نعم جعلت فداك،

قال : فقال عليه السلام لي : أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟

قلت : نعم،

قال عليه السلام : من أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار.

قال صـفوان : فذهبت فبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي : يا صفوان بلغني أنّك بعت جمالك،

قلت : نعم،

قال : ولم؟

قلت : أنا شيخ كبير وإنّ الغلمان لا يفون بالأعمال؟

فقال : هيهات هيهات، إنّي لأعلم من أشـار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر.

قلت : ما لي ولموسى بن جعفر؟

فقال : دع هذا عنك فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك.

وسائل الشيعة،ج١٧، ص١٨٢-١٨٣

التواجد في مواضع التهم

في وصيّة الإمام زين العابدين عليه السلام لولده الباقر عليه السلام قال له:

«يا بنيّ انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقلت: يا أبه من هم؟ قال: إيّاك ومصاحبة الكذّاب فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويباعد لك القريب.

وإيّاك ومصاحبة الفاسق فإنّه بائعك بأكلةٍ أو أقلّ من ذلك.

وإيّاك ومصاحبة البخيل فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه.

وإيّاك ومصاحبة الأحمق فإنّه يُريد أن ينفعك فيضرّك.

وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله عزَّ وجلَّ في ثلاثة مواضع...».

تمهيد:

إذا كانت المســتحبّات سياجاً للواجبات، بحيث إنّ الإنسان المؤمن إذا حافظ عليها، وأتى بها مهتمّاً بالقيام بما استطاع منها، فإنّه بطريق أولى لن يقصّر في أداء الواجبات، كذلك فإنّ المكروهات سياج المحرّمات، وبالتالي إذا هتك الإنسان المؤمن ستر المكروه، ولم يبالِ بفعله فلربما تزلّ قدمه أحياناً، فيبادر إلى ارتكاب بعض المحرّمات.

ومن المســائل الخطيرة والابتلائيّة عند بعض المؤمنين، كما هو مشاهد في زماننا الحاضــر، تواجدهم ووضــع أنفسهم في مواضــع وأماكن وحالات لا ينبغي لهم التواجد فيهــا، تارةً من ناحية شخصــيّة، وأخرى بمــا يحمله من عنوانٍ ومســؤوليّة، وقد عبّرت الروايات الشــريفة عنها بمواضــع التهمة، وهــا هو أمير المؤمنين عليه السلام يوصــي ولده الحسن عليه السلام بقوله: «**إيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء**»[1]، وربما يعود السبب في توقّي مواضع الشبهة والتهمة إلى أمور منها:

١ - الانجرار للمعصية:

إنّ هذه الأماكن قد تدفع هذا الإنسان- بسبب وجود الشبهات والمحرّمات- أحياناً إلى الوقوع فيما لا يُحمد عقباه، وبالتالي فلا يلومنّ إلّا نفسه كما ورد في الخبر الشريف.

٢ - اتهامه بالمعصية:

أنّها مدعاة لاتهامه من قبل من يراه وشيوع ذلك بين الناس، وحينئذٍ لن ينفع التبرير والإعتذار.

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٣٧.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**اتّقوا مواقف الريب، ولا يقض أحدكم مع أمّه في الطريق؛ فإنّه ليس كلّ أحدٍ يعرفها**»(١).

وما ذلك إلّا لدفع التهمة والقيل والقال، فيرحم نفسه ويرحم غيره، بعدم استغابته والإساءة إليه وفضحه.

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهمة**»(٢).

٣ - سوء الظنّ:

إنّ هذا التواجد سيؤدّي إلى إساءة الظنّ به، ولو من الناحية القلبيّة فقط، من دون أن يبرز إلى الخارج بالكلام، ولا سيّما الغيبة وغيرها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به**»(٣).

لقد أشرنا فيما سبق وفيما سيأتي، إلى أنّ الإنسان المؤمن العاقل، لا بدّ له أن يصبغ كلّ أفعاله وأعماله بالصبغة الإلهيّة؛ أي أن تكون كلّ أحواله الظاهريّة والباطنيّة، موافقة للشرع المقدّس، وما أمر به الله عزَّ وجلَّ ورسوله وأولي الأمر (سلام الله عليهم).

وبعبارة أخرى أن تكون أفعاله نابعة من التقوى، التي تحمي الإنسان وتحصّنه من الوقوع في الشبهات، لأنّه إذا نظر من منظار التقوى، فسوف يقيس كلّ فعلٍ أو عملٍ ينوي القيام به بميزان رضا الله وغضبه، ومن ثمّ يُقدم أو لا يُقدم عليه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المَثُلات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات**»(٤)، والشرط الأساس لحصول مثل هذه التقوى، هو التفقّه في الدين، وتعلّم أحكام الحلال والحرام، وسلوك طريق الإحتياط؛ فإنّ به النجاة.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٣٧.
(٢) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣٤٠.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٣٧.
(٤) نهج البلاغة، ج١، ص٤٧.

مواضع التهمة

نشـير ها هنـا إلى بعض مواضـع التهمة التي ينبغـي الحذر منهـا أو الدخول فيها، وهي:

١. الأماكن المحرّمة

وهي من أوضح مصاديق التهمة للأخ المؤمن إذا تواجد فيها، كنوادي السهر وأماكن الدعارة والمسابح المختلطة، التي لا يُتورّع فيها عن ارتكاب الحرام...

٢. الأماكن المختلطة

كالأعراس التـي لا يُراعى فيها حرمة الاسـتماع إلـى الغناء، والموسـيقى، والنظر المحرّم.

٣. التواجد في الطرقات

وهي من العادات القبيحة عند بعض الأفراد، وقد تُلازم النظر المحرّم إلى الفتيات، وتُسبّب الحرج لبعض الأخوات بالمرور من ذلك الطريق.

وقـد نهانـا أهـل البيت عليهم السلام عـن الجلوس في الطرقـات؛ كما روي عـن أمير المؤمنيـن عليه السلام قُبيل وفاته أنّه قال عليه السلام: «**إيّـاك والجلوس فـي الطرقـات**»[١].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأصحابه: «**إيّاكم والجلوس في الطرقات، فقالوا** يا رسـول الله ما لنا من مجالسـنا بدٌّ؛ نتحـدّث فيها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **إذا أبيتـم إلّا المجلس فاعطوا الطريق حقّها.**

قالوا: وما حقّ الطريق يا رسول الله؟

قـال صلى الله عليه وآله وسلم: **غضّ البصـر، وكفّ الأذى، وردّ السـلام، والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر...**»[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٤٦٥.

(٢) نيل الأوطار، ج٦، ص٥٩.

٤ . زيارة الأشخاص المشبوهين

الذيـن تدور حولهم بعض علامات الاسـتفهام، لا سـيّما مع انفلات الوضـع الأمنيّ ووجود شبكات العملاء والمخبرين.

٥ . فضول الكلام والتطفّل

ورد في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذر قوله: «**يا أبا ذر أترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك**»[١].

٦ . صحبة الأشرار والفسّاق

ولا سيّما شارب الخمر ومتعاطي المخدّرات.

عـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**صُحبة الأشـرار تكسـب الشـرّ، كالريـح إذا مرّت بالنتن حملت نتناً**»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا تصحب الفاجر فإنه يعلّمك من فجوره**»[٣].

الخَلوة بالأجنبيّة

من أوضـح المصاديق البارزة لمواضع التهمة وجلب إساءة الظن بالأخ المؤمن، وما يؤدّي به للوقوع بالحرام أمران:

أ . الخلوة بالأجنبيّة

أي الجلوس مع إمرأة محرّمة عليه في مكان مشبوه، وقد ورد النهي المؤكّد عن ذلك فـي أقوال الأئمّـة عليهم السلام والعلماء، لما في ذلك من المفاسـد ولا أقلّهـا النظر المحرّم وفوران الشهوة والتلذّذ.

ففـي دعائـم الإسـلام: «عـن رسـول الله ﷺ أنّه نهى عـن محادثة النسـاء - يعني

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٨٨.
(٢) غرر الحكم، ص٤٣١.
(٣) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٩١.

غيــر ذوات الأرحــام. وقال: «**لا يخلونّ رجل بإمرأة، فما من رجلٍ خـلا بإمرأة إلّا كان الشيطان ثالثهما**».

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «**حديث النساء من مصائد الشيطان**».

ب. العقد على المشهورة بالزنا

وهــذه مــن المصــائب التي قد يبتلــي بها البعضــ، ولها مفاســد أخلاقيّة وصـحيّة واجتماعيّة.

إذ أنّ بعض الشباب يسعى وراء شهوته فيفتّش عن هذه وتلك، ويسأل عن هذه وتلك، فيقــع في النظر المحرّم والســؤال المحرّم المُســتتبع للأذى. وقد تصـل به الحال إلى إرضاء شهوته مع أوسخ النساء وأحقرهنّ وأرذلهنّ، وهي المشهورة بالزنا. وقد يؤدّي به إلى الوقوع في الزنا المحرَّم والعياذ بالله، وهذا ما يُسيء للمذهب وللخطّ والنهج. سيّما إذا كان هذا الإنسان المؤمن يشكّل رمزاً أو شعاراً للخطّ أو للمذهب، أو يحمل مسؤوليّة، وبذلك يُسيء إلى أهل البيت عليهم السلام ويجلب لهم الشنعة والعياذ بالله.



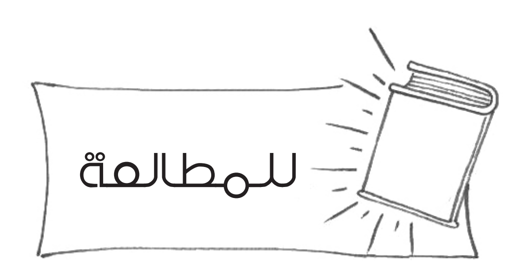
١ ـ إنّ من صفات المؤمن عدم وضع نفسه في مواضع الشبهة والتهمة وما شابه.

٢ ـ لقد نبّه الإسلام العزيز إلى تجنّب مواضع الشبهة والتهمة، وذلك لعدّة أسباب:

أ ـ إنّ مثل هذه المواضع قد تدفع بالإنسان للوقوع في الحرمة والمنكر.

ب ـ تكوّن إنطباع ســيء عند الناس حول تواجد الإنسان في هكذا مواضع، فضلاً عن إساءة الظن به.

٣ ـ من مصــاديق مواضع التهمة والشــبهة، أماكن ارتكاب المحرّمات والمنكر وعدم مراعاة الضوابط الشرعيّة، فضلاً عن التواجد في الطرقات وصحبة الأشرار.



الزهد في الدنيا

مــن خطبة لأمير المؤمنين يعظ فيها ويزهّد في الدنيا، قال عليه السلام: «نحمده على ما أخذ وأعطى وعلى ما أبلى وابتلى. الباطن لكلّ خفية، والحاضـرُ لكل سريرةٍ، العالِمُ بما تُكِنُّ الصـدور وما تخون العيون ونشـهد أن لا إله غيره وأنّ محمّـداً صلى الله عليه وآله وسلم نجيبه وبُعيثُه. شهادةً يوافق فيها السرّ الإعلانَ والقلبُ اللسانَ...

فإنّــه واللّهِ الجِـدُّ لا اللعـب والحقّ لا الكذب، ومـا هو إلّا الموت أسـمع داعيه وأعجل حاويه، فلا يغرنّك سـواد الناس من نفسـك، وقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال، وحـذر الإقلال، وأمِن العواقب، طول أمل واسـتبعاد أجـل، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه محمولاً على أعواد المنايا يتعاطى به الرجالُ الرجالَ، حملاً على المناكب وإمساكاً بالأنامل، أما رأيتم الذين يأملون بعيداً ويبنون مشيداً ويجمعون كثيراً كيف أصـبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بُوراً وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين، لا في حسـنة فيزيدون، ولا من سـيّئة يسـتعتبون. فمن أشـعر التقوى قلبه بـرَّزٍ مهلــه (أي التعدّم في الخير) وفاز عمله فاهتبلوا هبلهـا (أي اغنموا خير التقوى) واعملـوا للجنّــة عملها، فإنّ الدنيا لم تُخلق لكم دار مقـام بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار، فكونوا منها على أوفازٍ وقرّبوا الظهور لِلزِّيَالِ».

نهج البلاغة، الخطبة ١٣٢، ص١٨٩

الغيبة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في النهي عن عيب الناس:

«وإنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة؛ أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم.

فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو أعظم من الذنب الذي عاب به، فكيف يذمّه بذنبٍ قد ركِبَ مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ممّا هو أعظم منه. وأيم الله لو لم يكن عصاه في الكبير لقد عصاه في الصغير، ولجرأته على عيب الناس أكبر.

يا عبد الله لا تعجل في عيب عبدٍ بذنبه فلعلّه مغفورٌ له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ فلعلّك تُعذّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره»[1]

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٩١.

تمهيد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

أشرنا فيما مضى إلى الآثار العامة لارتكاب الذنوب مطلقاً. إلّا أنّ هناك بعض الذنوب لها آثارها الخاصّة دنيويّاً وآخرويّاً، وعلى الفرد والمجتمع أيضاً وبالتالي لا بدّ من الإشارة إليها، والاطلاع على تبعاتها؛ لعلّنا نحذر منها فلا نقدم على ارتكابها.

الغيبة وآثارها

الغيبة مرض نفسيّ واجتماعيّ قاتل، أصبح في أيّامنا فاكهة المجالس لا يتورّع الكثيرون عنه جهلاً وغفلة وتهاوناً عند بعض، وعمداً عند البعض الآخر، ولقد ورد النهي المؤكّد والمشدّد عن الغِيبة في القرآن الكريم والروايات الشريفة، لذلك يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**اعلم أنّ حرمة الغيبة محلّ اتفاقٍ اجمالا، بل تعدُّ من ضروريّات الفقه ومن المعاصي الكبيرة والموبقات المهلكة**»[(٢)].

وقال بعضهم: «أدركنا السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض الناس»[(٣)].

ويقول العلّامة المجلسي قدس سره: «واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبة وجعلها أعظم من كثيرٍ من المعاصي الكثيرة؛ اشتمالها على المفاسد الكليّة المنافية

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الأربعون حديثاً، ص٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٢٢.

لغرض الحكيم سبحانه بخلاف باقي المعاصي فإنّها مستلزمة لمفاسد جزئيّة»[1].

ولهذا فإنّ سلوك سبيل الله إنّما يكون بسائر وجوه الأوامر والنواهي، لا باتيان بعضها وترك بعضها الآخر؛ لأنّ هذا موجبٌ للتهاون بأوامر الله ونواهيه وبالتالي التهاون بالله عزَّ وجلَّ وجعله في حدّ أهون الناظرين والمراقبين، بل إنّ البعض قد لا يخاف من خالقه بقدر ما يخاف من مخلوقاته.

تعريف الغيبة:

ذكرت تعاريف كثيرة للغيبة أشهرها «**ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه، ممّا يعدُّ نقصاناً في العُرفِ بقصد الانتقاص والذم**».

وقد عرّفها الرسول الأعظم ﷺ في وصيّته لأبي ذر عندما سأله: «قلت يا رسول الله ما الغيبة؟

قال ﷺ: **ذكرك أخاك بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه**»[2]. وقال بعضهم في تعريفها: «**ذكرك أخاك بما يسؤوه في ظهر الغيب**».

القيود المأخوذة في أكثر التعاريف، هي:

أ ـ تحديد الشخص المغتاب.

ب ـ أن يكون أخاً في الدين.

ج ـ أن لا يكون متجاهراً بالفسق.

د ـ قصد التنقيص لا المصلحة (عند البعض).

هـ ـ أن يكون موجوداً فيه (لا يكذب في قوله).

و ـ أن يكشف أمراً مستوراً لا ظاهراً.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**المستفاد من أخبار الغيبة أنّ كشف ستر المؤمنين حرام، بمعنى أنّه يحرم إظهار عيوب المؤمنين المستورة من دون فرق بين أن تكون**

(1) م.س. البحار، ج72، ص223.

(2) وسائل الشيعة،ج12،ص281.

هـذه العيـوب خَلقيّـة أو خُلقيّـة أو سـلوكيّة... وسـواء كان هناك قصـد انتقاص أم لا، ولكن يُسـتفاد مـن مراجعة عدَّة روايات في المقام أنّ لقصـد الانتقاص والطعن دور في حرمة الغيبة...»[1].

ولكـن لا بدّ من الإشـارة والتنبيه إلى أنّ عدم توفّر قيـود الغيبة، قد لا يرتّب عنوانها وحرمتها، إلّا أنّه موجبٌ لحرمات أخرى كالهتك والإيذاء والإهانة وإشاعة الفاحشة.

أسباب الغيبة في رواية الإمام الصادق عليه السلام

قال سلام الله تعالى عليه: أصل الغيبة يتنوّع بعشرة أنواع:

١. **شـفاء غيـظ:** فيغتـاب أحدهم ويقع فيه وفي عرضـه ليروي غليله ويشـفي حقده وينفّس قلبه.

٢. **ومسـاعدة قـومٍ:** فـي غيبتهم وتعرّضـهم لأعراض الناس، فلا يـردّ عليهم غيبة المغتاب ويُدافع عنه، وقد يُشاركهم القول مؤيّداً لهم ولو بالإشارة ونحوها.

٣. **وتهمة:** بلا أيّ سبب ومبرّر، ومن دون أيّ دليل على قوله.

٤. **وتصديق خبرٍ بلا كشفه:** دون تبيّن وتثبّتٍ وقد أُمر بذلك.

٥. **وسـوء ظـنٍّ:** بالآخريـن وقـد أُمـر بحسـن الظنّ بهـم، وأن يحملهم علـى العمل الحسن.

٦. **وحسدٍ:** لغيره ممّا هم عليه من النعمة.

٧. **وسخريةٍ:** منهم.

٨. **وتعجُّبٍ:** ممّا فعلوه وقالوه.

٩. **وتبرّمٍ:** إظهار الانزعاج ممّا فعله فلان.

١٠. **وتزيّنٍ:** بأنّه لا يفعل ما فعله أو ما قاله فلان.

ثمّ يقول عليه السلام: «**فإذا أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان**

---

(١) الأربعون حديثاً، ص٢٨٣.

الغيبة عبرة ومكان الإثم ثواباً»[1].

آثار الغيبة الخاصّة دنيويّاً وأخرويّاً

الغيبة ذنبٌ وكبيرةٌ من الكبائر تشملها آثارهما بشكل عامّ، ولها آثارها الخاصّة، كما هو الوارد في الآيات والروايات، وسنشير إلى بعضها.

أ - الآثار الدنيويّة للغيبة:

١. بغض الله: بغض الناس وإحباط الأجر:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إيّاك والغيبة فإنّها تمقتك إلى الله والناس وتُحبط أجرك**»[2].

وعنه أيضاً قال: «**أبغض الخلائق إلى الله المغتاب**»[3].

٢. اللعنة:

والمراد منها الطرد من رحمة الله، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**ملعون ملعون من اغتاب أخاه**»[4].

٣. أقبح اللؤم:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**من أقبح اللؤم غيبة الأخيار**»[5].

٤. تأكل دين الرجل:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه**»[6].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٩، ص١١٨.
(٢) غرر الحكم، ص٢٢١.
(٣) مصدر سابق،غرر الحكم،ص١٢٢.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٣١.
(٥) غرر الحكم، ص٢٢١.
(٦) الكافي، ج٢، ص٣٥٦.

٥. أشدُّ من الزنا:

عن أبي ذر عن رسـول الله ﷺ قال: «**الغيبة أشـدُّ من الزنا، قلت ولم ذاك يا رسول الله؟ قـال: لأنّ الرجـل يزنـي فيتوب إلـى الله فيتوب الله عليه، والغيبـة لا تُغفر حتّى يَغفرها صاحبها**»[١].

٦. تُورث غيبة المغتاب:

عـن الإمام الصـادق عليه السلام قال: «**لا تَغتب فتُغتـب ولا تحفر لأخيـك حفرة فتقع فيها، فإنّك كما تدين تُدان**»[٢].

٧. الخروج من ولاية الله:

عـن أبـي عبد الله عليه السلام قال: «**مـن روى على مؤمـنٍ رواية يريد بها شـينه وهدم مرؤته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عزَّ وجلَّ من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان**»[٣].

٨. عدم قبول الصلاة والصوم:

عن النبيّ ﷺ: «من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه»[٤].

ب - الآثار الأخرويّة للغيبة

١. دخول النار:

رُوي أنّ الله تعالـى قـال لموسـى عليه السلام: «**مـن مات تائباً مـن الغيبة فهـو آخر من يدخل الجنّة، ومن مات مصرّاً عليها فهو أوّل من يدخل النار**»[٥].

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٨٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٤٨.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٥٨.
(٤) مستدرك الوسائل، ج٩، ص١٢٢.
(٥) نفس المصدر، ص١٢٦.

٢. إدام كلاب النار:

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته إلى نوف البكالي قال: «**اجتنب الغيبة فإنّها إدام كلاب النار**»[١].

٣. محو الحسنات:

عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**إذا كان يوم القيامة أقبل قوم على الله عزَّ وجلَّ فلا يجدون لأنفسهم حسنات، فيقولون إلهنا وسيّدنا ما فعلت حسناتنا، فيقول الله عزَّ وجلَّ أكلتها الغيبة، إنّ الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحلفاء**»[٢].

٤. أنتن من الجيفة:

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**قال رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**... ونهى عن الغيبة وقال: من اغتاب امرأً مسلماً بطل صومه ونقض وضؤوه ،وجاء يوم القيامة تفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة، يتأذّى بها أهل الموقف**»[٣].



١- إنّ أسوء فواكه المجالس هي فاكهة الغيبة، بل هو مرض نفسيّ واجتماعيّ له آثاره المدمّرة للمجتمع وأخلاقيّاته.

٢- الغيبة تعني ذكر إنسان غائب عنّا بما يكره نسبته إليه ويعدّ إنقاصاً له وذمّ بحقّه.

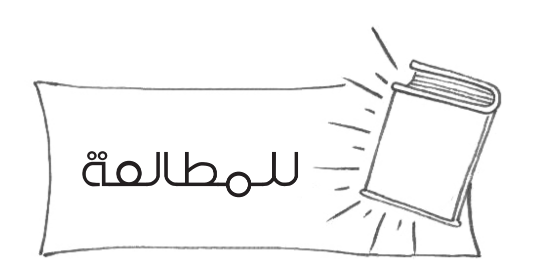
٣- إنّ من آثار الغيبة في الدنيا: الخروج من ولاية الله، وأمّا من آثارها الأخرويّة فدخول النار.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٨٣.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٩، ص١٢٤.

(٣) وسائل الشيعة،ج١٢،ص٢٨٣.



أقسام الذنوب

صعد أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

«أيّها الناس إنّ الذنوب ثلاثة، ثمّ أمسك[1]. قال له حبّة العُرني: يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثمّ أمسكت! فقال: ما ذكرتها إلّا وأنا أريد أن أُفسّرها ولكن عرض لي بُهرٌ حال بيني وبين الكلام.

نعم الذنوب ثلاثة: فذنب مغفورٌ، وذنبٌ غير مغفورٍ، وذنبٌ نرجو لصاحبه ونخاف عليه.

قال: يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا؟

قال: نعم، أمّا الذنب المغفور فعبدٌ عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يُعاقب عبده مرّتين، وأمّا الذنب الذي لا يُغفر، فمظالم العباد بعضهم لبعضٍ، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفٌّ بكفٍّ ولو مسحةٌ بكفّ ولو نطحةٌ ما بين القرناء إلى الجماء[2]، فيقتصُّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا تبقى لأحدٍ على أحدٍ مظلمة ثمّ يبعثهم للحساب. وأمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه (عبده) ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العذاب».

الكافي، ج٢، ص٤٤٣

---

(١) أمسك أي توقف عن الكلام.

(٢) القرناء أي التي لها قرن والجماء التي لا قرن لها.

7

النميمة

قال رسولُ الله ﷺ:

«أربعةٌ يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم والجحيم، ينادون بالويل والثبور.

يقول أهل النار بعضهم لبعضٍ: ما بال هؤلاء الأربعةِ قد آذونا على ما بنا من الأذى.

١. فرجلٌ معلّق عليه تابوت من جمر.

٢. ورجلٌ يجرّ أمعائه.

٣. ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً.

٤. ورجلٌ يأكل لحمه.

فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول: إنّ الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها أداءً ولا وفاء.

ثمّ يقال للذي يجرّ أمعائه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده.

ثمّ يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان يُحاكي فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة فيُسندها فيحاكي بها.

ثمّ يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة، ويمشي بالنميمة»[1].

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٣٠٧.

قـال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِـعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيـمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[١].

اللسان: نعمة ونقمة

مـن النعـم الإلهيّة التي أنعـم اللهُ بها على الإنســانِ من جملة خلقِه الـذي خَلقهُ في أحسن تقويم، نعمةُ اللسان والبيان والنطق، التي تميّزه عن باقي المخلوقات، قال تعالى: **﴿الرَّحْمَـنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾**[٢]، وكذلك قوله: **﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾**[٣].

وقـال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما الإنسـان لولا اللسـان إلّا صـورة ممثّلـة أو بهيمة مهملة**»[٤].

ولذا لا بدّ لنا من شـكر الله على هذه النعمة وإعطائها حقّها؛ بتسخيرها والاستفادة منها فيما يرضـي الله عزَّ وجلَّ ولا يُسـخطه، فبهذا اللسـان يصـل الإنسـانُ إلى أعلى المراتب والمقامات عبر ذكر الله، وإتيان الطاعات والإصـلاح بين الناس والدعوة إلى الله، وبهذا اللسـان أيضـاً يهبط الإنسان إلى أسفل السـافلين ودرك الجحيم إن سخّره في معصية الله.

ومن هنا كان للسان حقّ لا بدّ من أدائه، قال الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق:

---

(١) سورة القلم، الآيات: ١٠-١٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ـ٤.

(٣) سورة البلد، الآيتان: ٨ و٩.

(٤) غرر الحكم، ص٢٠٩.

«**وحقّ اللسان إكرامه عن الخنا**[1]**، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبِّر بالناس وحسن القول فيهم**»[2].

المعيار هو العقل

والمعيار في تقييم اللســان هو العقل والجهل، فبالعقل ترجح كفّته وبالجهل يســقط ويهوي.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللسان معيارٌ أرجحه العقل وأطاشه الجهل**»[3].

وبهذا اللســان يفتح الإنســان أبواب الخير وبه أيضــاً يفتح أبواب الشــرّ، لكن العبرة فيمــا يتكلّــم وفيما لا يتكلّم، ومتــى يتكلّم ومتى لا. ورد في الحديث الشــريف عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**كان أبو ذر يقول في عظته: يا مبتغي العلم، إنّ هذا اللسان مفتاح كلّ خيرٍ ومفتاح كلّ شرٍ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وفضتك**»[4].

مساوئ اللسان

إنّ مســاوىء اللســان كثيرة وعواقبه وخيمه، وهو ســبب هلاك أكثر الناس ودخولهم النار.

وقد جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**يا رسول الله أوصني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: احفظ لسانك، قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: احفظ لسانك، ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم**»[5].

وبالرغم من أنّ المحرّك لارتكاب المعاصي اللسانيّة هي النفس الأمّارة بالسوء، وما اللسان إلّا آلة لإظهار ما في النفوس خيرها وشرّها، إلّا أنّ ما ورد في القرآن الكريم هو

---

(١) الخنا: أي الفحش في الكلام.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٧٢.

(٣) غرر الحكم، ص٢١١.

(٤) مستدرك الوسائل، ج٩، ص٢٤.

(٥) الكافي، ج٢، ص١١٥.

التأكيد على أنّ الألسن، هي من تشهد يوم القيامة على أفعال الإنسان في الدنيا: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[1].

بل يعذّب اللسان عذاباً شديداً كما في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يعذّب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح.**

فيقول: يا ربِّ عذّبتني بعذابٍ لم تعذّب به شيئاً.

فيُقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام. وعزّتي وجلالي لأعذبنّك بعذابٍ لا أعذّب به شيئاً من جوارحك»[2].

النميمة وآثارها

النميمة مرض نفسيّ لسانيّ قاتل وخطير وهي تعني: «**نقل قول الغير إلى المقول فيه سواء بالتكلّم أو الكتابة أو الإشارة أو الرمز**»[3].

وهي المصداق البارز لإشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن؛ لما فيه من الفساد والإفساد.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**من قال في مؤمنٍ ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[4]»[5].

وعنه عليه السلام قال: «**وإنّ من أكبر السحر النميمة، يفرّق بها بين المتحابّين، ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور ويكشف بها الستور، والنمَّام أشرُّ من وطىء الأرض بقدمٍ**»[6].

(١) سورة النور، الآية: ٢٤.
(٢) الكافي، ج٢، ص١١٥.
(٣) مجمع البحرين، ج٦، ص١٨٠.
(٤) سورة النور، الآية: ١٩.
(٥) الكافي، ج٢، ص٣٥٧.
(٦) مستدرك الوسائل، ج٩، ص١٥١.

وينبغي لكلّ من حُملت إليه النميمة:

١ - **عدم التصديق**: لقوله تعالى: **﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾**[١].

٢ - **التبيّن قبل ترتيب الأثر** لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[٢].

٣ - **أن ينهاه عن ذلك** لقوله تعالى: **﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾**[٣].

٤ - **أن يُبغضَ في الله إذا علم منه معرفته بعمله وإصراره على فعله**؛ لأنّه ملعون بعيدٌ عن الله. ورد في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الضغينة وتُبعد عن الله**»[٤].

٥ - **أن لا تظنّ بأخيك السوء**: **﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**[٥].

٦ - **أن لا يحملك القول فيك على التجسّس** **﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾**[٦].

٧ - **أن لا ترضى لنفسك ما نُهيت عنه**، فتقع فيما وقع فيه غيرك.

ومن الجميل أن نتعلّم من أهل البيت عليهم السلام كيفيّة التعاطي مع النمَّام.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه أتاه رجل يسعى إليه برجُلٍ، فقال له عليه السلام: «**يا فلان نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نُقيلك أقلناك، قال: أقلني يا أمير المؤمنين**»[٧].

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠ و١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٤) غرر الحكم، ص٢٢٢.

(٥) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

(٦) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

(٧) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٧٠.

آثار النميمة الدنيويّة والآخرويّة

١ - الحقد والضغينة:

عن الإمام علي عليه السلام: «**إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة**»(١).

وعن الإمام جعفر عليه السلام: «**إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال**»(٢).

٢ - غضب الله وهتك الستر:

من كتاب الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي والي الأهواز، قال له: «**إيّاك والسعاة وأهل النمائم، فلا يلتزقن بك أحدٌ منهم، ولا يراك الله يوماً وليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك**»(٣).

٣ - شرار خلق الله:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**ألا أخبركم بشراركم، قالوا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب**»(٤).

٤ - عذاب القبر:

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**عذاب القبر يكون من النميمة**»(٥).

٥ - عدم دخول الجنّة:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يدخل الجنّة نمّام**»(٦).

---

(١) غرر الحكم، ص٢٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٠٢.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٢٠٧.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢١٢.
(٥) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٣٩.
(٦) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٦٨.

عبدٌ نمّام

باع أحدهم عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلّا النميمة قال رضيت به.

فمكث الغلام أيّاماً ثمّ قال لزوجة مولاه: إنّ زوجك لا يحبّك ويريد أن يتسرّى[١] عليك فخذي بعض الشعر منه لأسحره لك.

ثمّ قال للزوج: إنّ امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك فتناوم[٢] لها حتّى تعرف.

فتناوم فجاءته امرأته تحمل سكيناً فظنّ أنّها تقتله فقتلها، وجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين.



١ ـ إنّ اللسان الذي هو جزء من أجسامنا، وهو نعمة إلهيّة نؤدّي حقّها حين ينطق بما يُرضي الله سبحانه ويصمت عمّا يسخطه.

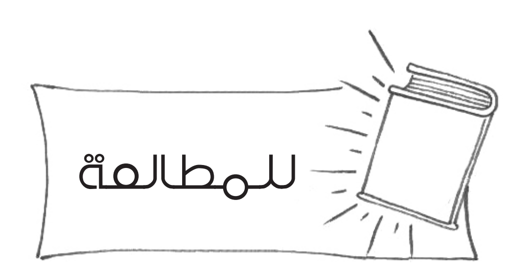
٢ ـ إنّ للسان أمراض عديدة، منها مرض (النميمة) ذو الآثار الفاسدة والمفسدة في المجتمع.

٣ ـ إنّ من آثار النميمة في الدنيا شيوع الفاحشة، وتنامي الحقد والضغينة بين المؤمنين، أمّا في الآخرة لا يدخل النمّام الجنّة.

---

(١) يتسرى: أي السرية وهي الزوجة الجارية مقابل الزوجة الحرَّة.

(٢) فتناوم: تصنّع النوم.



من وصيّة لقمان لابنه قال له:

«يـا بُنـيّ لا يكن الديك أكيس منـك وأكثر محافظة على الصـلوات، ألا تراه عند كلّ صلاة يؤذّن لها وبالأسحار يُعلن بصوته وأنت نائم.

وقال: يا بنيّ من لا يملك لسـانه يندم، ومن يُكثر المراء يُشـتم، ومن يدخل مداخل السوء يُتّهم، ومن يُصاحب صاحب السوء لا يَسلم، ومن يُجالس العلماء يغنم.

يا بنيّ: لا تؤخّر التوبة فإنّ الموت يأتي بغتة.

يـا بنيّ اجعل غناك في قلبك، وإذا افتقرت فلا تحدّث الناس بفقرك فتهون عليهم، ولكن أسأل اللّه من فضله.

يا بنيّ: كذب من يقول إنّ الشـرّ يُقطع بالشـرّ، ألا ترى أنّ النار لا تُطفأ بالنار، ولكن بالماء، وكذلك الشرّ لا يطفأ إلّا بالخير.

يا بنيّ: لا تشمت بالمصاب، ولا تعيّر المُبتلى، ولا تمنع المعروف فإنّه ذخيرة لك في الدنيا والآخرة.

يا بنيّ: ثلاثة تجب مداراتهم: المريض، والسـلطان، والمرأة. وكن قانعاً تعش غنيّاً، وكن متّقياً تكن عزيزاً.

يا بنيّ: من حين سـقطت من بطن أمّك اسـتدبرت الدنيا واسـتقبلت الآخرة، وأنت في كلّ يومٍ إلى ما اسـتقبلت أقرب منك إلى ما اسـتدبرت، فتزوّد لدار أنت مسـتقبلها، وعليك بالتقوى فإنّه أربح التجارات، وإذا أحدثت ذنباً فاتبعه بالاستغفار والندم والعزم

علـى ترك العود لمثله. واجعل الموت نصـب عينيك والوقوف بين يـدي خالقك، وتمثّل شـهادة جوارحك عليك بعملك، والملائكة الموكلين بك؛ تسـتحي منهم ومن ربّك الذي هو مشـاهدك. وعليك بالموعظة فاعمل بها فإنّها عند العاقل أحلى من العسـل الشهد، وهي على السـفيه أشقّ من صعود الدرجة على الشـيخ الكبير، ولا تسمع الملاهي فإنّها تُنسـيك الآخرة، ولكن احضـر الجنائز. وزر المقابر وتذكّر الموت وما بعده من الأهوال فتأخذ حذرك.

يا بنيّ: اسـتعذ بالله من شرار النسـاء، وكن من خيارهنّ على حذر. يا بنيّ: لا تفرح على ظلم أحدٍ بل احزن على ظلم من ظلمته.

يـا بنيّ: الظلم ظلمات ويوم القيامة حسـرات، وإذا دعتك القـدرة على ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله عليك.

يا بنيّ: تعلّم من العلماء ما جهلت، وعلّم الناس ما علمت؛ تُذكّر بذلك في الملكوت.

يـا بنـيّ: أغنى الناس من قنع بما في يديه، وأفقرهـم من مدّ عينيه إلى ما في أيدي الناس. وعليك يا بنيّ باليأس عمّا في أيدي الناس، والوثوق بوعد الله واسع فيما فرض عليك، ودع السـعي فيما ضـمن لك، وتوكّل على الله في كلّ أمورك يكفيك، وإذا صـلّيت فصـل صـلاة مودّع تظنّ أن لا تبقى بعدها أبداً، وإيّاك ما تعتذر منه، فإنّه لا يُعتَذر من خيـر. وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسـك واكـره لهم ما تكره لنفسـك، ولا تقل ما لم تعلم. واجهد أن يكون اليوم خيراً لك من أمس وغداً خيراً لك من اليوم؛ فإنّه من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شـرّاً من أمسـه فهو ملعون. وارضَ بما قسـم الله لك؛ فإنّه سبحانه يقول: أعظم عبادي ذنباً من لم يرض بقضائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يصبر على بلائي».

إرشاد القلوب، ج١، ص٧٢

8

الذنوب التي تعجّل عقوبتها

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«أقبح المعاصي قطيعة الرحم والعقوق»[1].

وفي الدعاء: اللهمّ إنّي أعوذ بك من الذنوب التي تُعجّل النقم...

اللهمّ إني أعوذ بك من الذنوب التي تُعجّل الفناء،...».

---

(١) غرر الحكم، ص ٤٠٦.

تمهيد:

مـن الآثار الدنيويّـة الخطيرة لبعض الذنوب ولا سـيّما قطيعة الرحـم والعقوق، هو تعجيل العقوبة في الدنيا وتعجيل الفناء.

وقبل الحديث عن هذين الذنبين وآثارهما، لا بدّ من الإشـارة إلى أنّ تعجيل العقوبة بوجه خاصّ قد يكون رحمة للمؤمن ليكفِّر سيّئاته، وليحذر ممّا هو فيه فيستأنف بعد أن يتوب إلى ربّه من ذنبه.

وأمّا لغير المؤمن فهو بلاء وسخط ونقمة وعقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

أ - قطيعة الرحم

وهو مـن الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة التي تقصـم ظهر العائلـة والمجتمع، وقد حذّرنا الله وأولياؤه عليهم السلام من عواقبها والوقوع في حبائلها.

لأنّ غايـة إرسـال الأنبياء عليهم السلام هو إصـلاح الفـرد والمجتمع وتنظيم أمـور العباد والبلاد، ليتّجه الإنسان إلى عبادة ربّه دون أيّ شاغلٍ يشغله، وبالتالي فإنّ عدم الاكتراث بدعوتهم الإصـلاحيّة سـوف يـؤدّي إلى الهـرج والمرج في النظام، وحلول غضـب الله ونقمته، وشمول البلاء والفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس.

لقـد جاء الإسـلام لمحو الآثـار الجاهليّة عن المجتمـع، ونبذ قيمها وإرسـاء قيمه المبنيّة على معايير يرتضيها الله عزَّ وجلَّ لتتحقّق السعادة لكلّ أفراد المجتمع.

إنّ شـيوع هـذه الأمراض الأخلاقيّة الاجتماعيّة، سـوف تؤدّي إلـى تفكّك المجتمع، وإشـغال عقول الناس وقلوبهم بالخلافات والنزاعات، وملئها بالأحقاد والضغائن والتي قد تسـتمرّ إلى أمدٍ طويل وربما تبقى إلى الموت. فهل هذا يُرضـي الله أم يُغضـبه؟ ألا

يسعى الإنسان لأن يسرَّ الله بتطبيق أوامره والاستجابة لدعوته؟ أم أنَّه يصرّ على تجاهل نداء ربّه الآمر لنا بعدم قطيعة أرحامنا بل وصلها والتآلف فيما بينها؟

إنّ قطيعة الرحم من الذنوب العظيمة التي سيُحاسب عليها الإنسان في الآخرة حساباً شديداً، فقد ورد أنّها من أبغض الأمور إلى الله بعد الشرك ولهم اللعنة وسوء الدار، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾**[١].

ويُروى أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «**أيّ الأعمال أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الشرك، قال ثمّ ماذا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: قطيعة الرحم...**»[٢].

آثار قطيعة الرحم

لقطيعة الرحم آثارٌ خطيرة لا يموت الإنسان حتّى يرى وبالها، كما ورد في كتاب عليّ عليه السلام، وهي:

١ - تعجيل الفناء:

خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «**أعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء، فقام إليه عبد الله بن الكواد الشكريّ، فقال: يا أمير المؤمنين أوَتكون ذنوب تعجّل الفناء؟ فقال: نعم ويلك، قطيعة الرحم، إنّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله وإنّ أهل البيت ليتفرّقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله، وهم أتقياء**»[٣].

٢ - تورث الفقر:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قطيعة الرحم تورث الفقر**»[٤].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

(٢) الكافي، ج٢، ص٢٨٩.

(٣) م. ن، ص٣٤٧.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٤٧.

٣ - زوال النعم:

وعنه سلام الله عليه قال: «**قطيعة الرحم تزيل النعم**»[١].

٤ - حجب الدعاء:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**قطيعة الرحم تحجب الدعاء**»[٢].

٥ - حلول النقم:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**في قطيعة الرحم حلول النقم**»[٣].

٦ - خراب الديار:

عن أبـي جعفر عليه السلام قال: «**في كتاب علـيّ عليه السلام ... وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحـم لتـذرانِ الديـار بلاقـع مـن أهلهـا، وتنقـل الرحـم، وإنّ نقـل الرحـم انقطـاع النسل**»[٤].

٧ - تعجيل العقوبة:

عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال: «**ما من ذنبٍ أجـدر أن يُعجّـل الله لصـاحبه العقوبة في الدنيا مع ما ادخره في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[٥].

٨ - من أشراط الساعة:

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من أشـراط السـاعة: سـوء الجوار، وقطيعة الرحم، وتعطيل الجهاد**»[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٨٦.

(٢) نفس المصدر، ص١٨٥.

(٣) غرر الحكم، ص٤٠٦.

(٤) الكافي، ج٢، ص٣٤٧.

(٥) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٨٣.

(٦) م.ن، ج٨، ص٤٢٠.

ب - عقوق الوالدين:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[١].

للوالدَين منزلة عظيمة عند الله عزَّ وجلَّ ،حيث قرن طاعته وعبادته وشكره ورضاه بذكرهما، وأوصانا بهما خيراً، وجعل لهما حقوقاً واجبة في رقابنا، وحذّرنا من عقوقهما، والذي عُدّ في الروايات الشريفة من الكبائر الموجبة لدخول النار، وأنّ العاقّ قد جعله الله سبحانه وتعالى جبّاراً شقيّاً. وورد أنّ أدنى العقوق أن يقول لهما أفّ، فكيف بضربهما وسبّهما وإلحاق الأذى بهما والهجران والقطيعة وترك الانفاق عليها، بل والأسوأ من كلّ ذلك قتلهما، أعاذنا الله من ذلك. وقبل الإشارة إلى آثار العقوق لا بأس بالإشارة إلى حقّ الأب وحقّ الأمّ؛ كما ورد في رسالة الحقوق لإمامنا زين العابدين عليه السلام، حيث قال:

«وأمّا حقّ أبيك فأن تعلم أنّه أصلك فإنّك لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يُعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوّة إلّا بالله»[٢].

وقال عليه السلام: **«وأمّا حقّ أمّك فأن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً. وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يُعطي أحدٌ أحداً. ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتُطعمك وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتُظلك وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها فإنّك لا تُطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه»**[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦٢١.

(٣) م.ن.

معنى العقوق وعلّة تحريمه

العقّ لغة؛ كما ورد في لسان العرب هو «شقّ عصا الطاعة، وعقَّ والديه؛ قطعهما ولم يصل رحمهما»[1].

وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى عقوق الوالدين فقال: «**يأمران فلا يطيعهما، ويسألانه فيحرمهما، وإذا رآهما لم يعظهما بحقّ ما يلزمه لهما**»[2].

وأمّا علّة تحريمها كما ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**وحرّم الله عزَّ وجلَّ عقوقَ الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير لطاعة الله عزَّ وجلَّ، والتوقير للوالدين وتجنّب كفر النعمة، وإبطال الشكر وما يدعو من ذلك إلى قلّة النسل وانقطاعه، لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين والعرفان بحقّهما، وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد، وترك التربية لعلّة ترك الولد برّهما...**»[3].

آثار العقوق وتبعاته

١ - من الكبائر الموجبة لدخول النار:

ورد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في جواب من سأله عن الكبائر كم هي قال: «**الكبائر: من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفَّر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً. والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف**»[4].

٢ - لا يشمّ العاقّ ريح الجنّة:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلامٍ له: إيّاكم وعقوق الوالدين فإنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ**

(١) لسان العرب، ج١٠، ص٢٥٦.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٩٣.
(٣) بحار الأنوار،ج٧١،ص٧٥.
(٤) الكافي، ج٢، ص٢٧٦.

زان، ولا جارٌ إزاره خُيَلاء. إنّما الكبرياء لله ربّ العالمين»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا يدخل الجنّة العاقّ لوالديه...**»[٢].

٣ - تعجيل العقوبة في الدنيا:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ثلاث من الذنوب تعجّل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان**»[٣].

٤ - عدم قبول الأعمال:

روي أنّ النبيّ موسى عليه السلام قال: «**يا ربّ أين صديقي فلان الشهيد؟ قال: في النار، قال: أليس وعدت الشهداء الجنّة. قال: بلى، ولكن كان مصرّاً على عقوق الوالدين وأنا لا أقبل مع العقوق عملاً**»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من نظر إلى والديه نظر ماقتٍ، وهما ظالمان له لم تُقبل له صلاة**»[٥].

٥ - ردّ الدعاء:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**الذنوب التي تُغيّر النعم البغي، والذنوب التي تورث الندم القتل، والتي تُنزل النقم الظلم، والتي تهتك الستور شرب الخمر، والتي تحبس الرزق الزنا، والتي تعجّل الفناء قطيعة الرحم، والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين**»[٦].

---

(١) م. س. الكافي، ص٣٤٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج٩، ص٤٥٤.
(٣) م. ن، ج١٦، ص٣١٢.
(٤) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٩٣.
(٥) م. ن، ص١٩٥.
(٦) علل الشرائع، ج٢، ص٥٨٤.

٦ - القلّة والذلّة:

روي عـن الإمام أبي الحسـن الثالث عليه السلام قـال: «**العقوق يعقب القلّـة ويؤدّي إلى الذلّة**»[١].



١ ـ إنمّا لبعض الذنوب آثار خطيرة، منها تعجيل العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، منها كقطيعة الرحم وعقوق الوالدين.

٢ ـ إنّ تعجيل العقوبة في الدنيا، منها للمؤمن رحمة وتكفير لذنوبه. بينما لغير المؤمن بلاء وسخط ونقمة في الدنيا قبل الآخرة.

٣ ـ من أثار قطيعة الرحم:

ـ الفقر والفاقة.

ـ زوال النعم.

ـ حلول النقم.

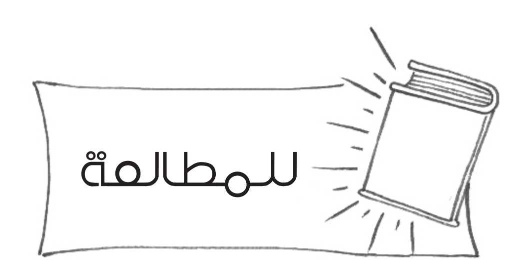
وأمّا آثار عقوق الوالدين منها:

ـ لا يشمّ العاقّ ريح الجنّة ومصيره النار.

ـ ردُّ الدعاء وعدم قبول الأعمال.

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٩٥.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لبعض تلاميذه: أيّ شيءٍ تعلّمت منّي قال له: يا مولاي ثمان مسائل، قال عليه السلام: قصّها عليَّ لأعرفها قال:

الأولى: رأيت كلّ محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرفت همّي إلى ما لا يفارقني بل يؤنسني في وحدتي؛ وهو فعل الخير. قال عليه السلام: أحسنت والله.

الثانية: قد رأيت قوماً يفخرون بالحسب وآخرين بالمال والولد، وإذا ذلك لا فخر فيه ورأيت الفخر العظيم في قوله تعالى: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾**، فاجتهدت أن أكون عند الله كريماً قال عليه السلام: أحسنت والله.

الثالثة: قد رأيت الناس في لهوهم وطربهم، وسمعت قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**، فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتّى استقررت على طاعة الله تعالى. قال: أحسنت والله.

الرابعة: رأيت كلّ من وجد شيئاً يكرَم عنده اجتهد في حفظه، وسمعت قوله تعالى **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾**، فأحببت المضاعفة ولم أر أحفظ ممّا يكون عنده؛ فكلّما وجدت شيئاً يُكرم عنده وجّهت به إليه ليكون لي ذخراً إلى وقت حاجتي. قال: أحسنت والله.

الخامسة: قال رأيت حسد الناس بعضهم لبعض، وسمعت قوله تعالى: **﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾**، فلمّا عرفت أنّ رحمة الله خير مما يجمعون ما حسدت أحداً، ولا أسفت على ما فاتني قال: أحسنت والله.

السادسة: قال: رأيت عداوة الناس بعضهم لبعض في دار الدنيا، والحزازات التي في صدورهم، وسمعت قول الله تعالى **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾**، فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره. قال: أحسنت والله.

السابعة: قال: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق، وسمعت قوله تعالى **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**، فعلمت أنّ وعده حق، وقوله تعالى صدق فسكنت إلى وعده ورضيت بقوله، واشتغلت بما له عليَّ عما لي عنده. قال أحسنت والله.

الثامنة: قال: رأيت قوماً يتّكلون على صحّة أبدانهم وقوماً على كثرة أموالهم وقوماً على خلق مثلهم، وسمعت قوله تعالى **﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾**، فاتّكلت على الله وزال اتّكالي عن غيره.

قال عليه السلام له: «**والله إنّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وسائر الكتب ترجع إلى هذه المسائل**».

إرشاد القلوب، ج١، ص١٨٧

9

بركات اجتناب الذنوب

عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا إنّ مثل هذا الدين كمثل شجرة نابتة ثابتة، الإيمان أصلها، والزكاة فرعها، والصلاة ماؤها، والصيام عروقها، وحسن الخلق ورقها، والإخاء في الدين لقاحها، والحياء لحاؤها، والكفّ عن محارم الله ثمرتها، فكما لا تكمل الشجرة إلّا بثمرة طيّبة، كذلك لا يكمل الإيمان إلّا بالكفّ عن محارم الله»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١، ص٢٧٩، ح١٥.

تمهيد

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

إنّ من نعم اللّه علينا أنْ شرّفنا بالوجود بعد العدم، فخلقنا وألبسنا لباس الحياة، فقال في محكم كتابه:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٢]، ومنَّ علينا أيضاً بنعمة العقل، الذي قال له: اقبل فأقبل، وادبر فأدبر، فقال: ما خلقت خلقاً أفضل منك بك أُعاقِب وبك أثيب، وبواسطة هذا العقل يريد الإنسان ويختار سلوك السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً.

هدف الأنبياء عليهم السلام

وقد فطرنا اللّه على توحيده وشكر نعمه، إلاّ أنّ هذه الفطرة قد تتلوّث، فينحرف الإنسان عمّا أراده اللّه أنْ يصل إليه من الهدف لخلقه، وكذلك قد تتعطّل العقول، نتيجة الهوى والغفلة، والغرق في الذنوب والضلال، والابتعاد عن اللّه عزَّ وجلَّ. ولذا مَنَّ اللّه علينا بإرسال الأنبياء عليهم السلام من أجل هدايتنا، وتصحيح مسارنا وإيقاظنا من الغفلة، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«واصطفى سبحانه من ولد آدم أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه واتّخذوا الأنداد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٧.

معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا فيهم دفائن العقول»[١].

التحذير من اتباع الشيطان

ومع هذا فقد طغى الإنسان، وكفر بالله وأنبيائه ورسله عليهم السلام، واتخذ عدوّ الله ـ أي الشيطان وأعوانه من شياطين الإنس والجنّ ـ أولياء له من دون الله، فضلَّ عن الطريق، وهوى في هذه الدنيا، قبل أن يهوي في الآخرة.

وقد حذّرنا الله من اتّباع خطوات الشيطان، قائلاً لنا **﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**[٢]، والعجب كلّ العجب ممّن يستبدل طاعة الرحمن بطاعة الشيطان، **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾**[٣].

ها هو الشيطان قد نصّب نفسه لغوايتنا وإضلالنا، يمنّينا ويعدنا كذباً وغروراً وباطلاً، وغداً يوم القيامة سيعلن براءته منّا، **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٤].

وأمّا إلهنا وخالقنا ـ رغم معصيتنا وابتعادنا عنه ـ ضمن لنا أرزاقنا بعد أنْ خلقنا وأعطانا المهلة بعد المهلة، ولا يزال يتلطّف بنا ويتحبّب إلينا، ويدعونا للعودة إلى ساحته، ويعدنا صدقاً بقبولنا والمغفرة لنا، ومن أصدق من الله قيلاً ومن أوفى من الله عهداً:

---

(١) بحار الأنوار، ج١١، ص٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

﴿الشَّيْطَـانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْـرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَـاء وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْـهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال لنا أيضـاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِـعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

وهـا هو الشـيطان يعلن أنّـه يخاف مـن ربّ العالمين، فلِما نطيعه في معصـية الله والجرأة عليه، أفلا نخاف نحن من الله أيضاً؟

﴿كَمَثَـلِ الشَّيْطَـانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّـا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنـكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

فرصة العمر

ولذا لا بدّ للإنسـان أن يعلم أنّ الفرصـة سـانحة، والمهلة قائمة، وليس علينا سـوى التفكيـر قليـلاً، والتأمّل في كتـاب الله، والتدبّر في آياتـه، وأن نستحضـر أمامنا تلك المشاهد الأخرويّة، لبراءة الشيطان منّا وتخلّيه عنّا.

ولنفكّر ونعلم من يريد الخير لنا، ومن يريد بنا شرّاً: هل هو الله الرحيم أم الشيطان الرجيم؟ هل نتّخذ الله وليّاً وناصراً ومعيناً؟، أم نتّخذ الشيطان الذي أعلن العداوة لنا، إلهاً نعبده من دون الله؟، أو هل نكون من حزب الله المفلحين، أم من حزب الشـيطان الخاسـرين؟ القرار لـك والخيار بين يديـك ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4].

آثار اجتناب الذنوب

وبنـاءً عليه وبعد هـذه المقدمّة، فإنّ من أهمّ آثار اجتنـاب الذنوب وبركات الطاعة لله:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

١ ـ الدخول في ولاية الله والخروج من ولاية الشيطان:

﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[١].

﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٢].

٢ ـ الهداية الإلهيّة:

الهداية على قسمين: هداية تكوينيّة تشمل جميع المخلوقات، وقد أشار الله إليها في كتابه الكريم بقوله: **﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾**[٣].

والمراد منها أنّ كلّ موجود قد أودع الله فيه ما يصل به إلى الهدف من وجوده وخلقه.

ويمتاز الإنسان عن بقيّة الموجودات ـ مضافاً إلى هذه الهداية ـ بهداية أخرى، يعبّر عنها بالهداية التشريعيّة، وهي هداية الإنسان إلى الهدف من خلقه، بمعونة من الوحي والرسل عليهم السلام، وتنقسم هذه الهداية إلى قسمين: هداية عامة، تشمل جميع الناس لتتميم الحجّة عليهم، وهداية خاصّة، لبعض عباد الله المخلَصين والمخلِصون، الذين استجابوا لنداء الله وتوحيده، فتفتّحت أنوار البصيرة في قلوبهم، وازدادوا إيماناً وتقوى، وحفظاً وتسديداً برعاية من الله وفضله وتوفيقه، يقول الله تعالى في محكم كتابه: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٤].

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٥].

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٦) سورة التغابن، الآية: ١١.

وفي الحديث القدسي يقول اللّه عزَّ وجلَّ:

«**يا عبادي كلّكم ضالّ إلاّ من هديته، فاسألوني الهدى أهدكم، وكلّكم فقير إلاّ من اغنيتـه، فاسـألوني الغنـى أرزقكم، وكلّكم مذنـب إلاّ من عاقبته، فاسـألوني المغفرة أغفر لكم...**»[١].

إذاً هذه الهداية من اللّه، وهي مشروطة بالإيمان والتقوى، واتيان الطاعات، والدعاء والتضـرّع إلــى اللّه الــخ، وفــي المقابل فــإنّ اللّه لا يهدي القــوم الظالميــن والكافرين والفاسقين، ومن هو مسرف كذّاب.

٣ ـ التوفيق في الحياة الدنيا:

وأيّ توفيق أكبر من أنْ يعيش الإنسان طاعة اللّه وعدم معصيته؟، والتي من خلالهما يصل الإنسان إلى ولاية التصرّف في التكوين بإذن اللّه، ويصبح مثالاً للّه في الأرض:

فــي الحديث القدســيّ يقول اللّه عزَّ وجلَّ: «**يا ابن آدم أنا حــيّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك، حتى أجعلك حياً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشيء كن فيكون**»[٢].

ويقول أيضاً في محكم كتابه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾[٣].

وفي الحديث الشــريف عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**قال رســول اللّه** صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **يقول اللّه عــزَّ وجــلَّ: «وعزّتي وجلالي، وعظمتــي وكبريائي، ونوري وعلــوّي، وارتفاع مكاني، لا يُؤثر عبدٌ هواه على هواي، إلاّ شــتّتّ عليه أمره، ولبّســت عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أؤته منها إلاّ ما قدّرت له.**

وعزّتي وجلالي، وعظمتي ونوري وعلوّي، وارتفاع مكاني، لا يُؤثر عبد هواي على هواه، إلاّ اســتحفظَتْه ملائكتي، وكفلت الســموات والأرضــين رزقه، وكنت له من وراء

(١) مستدرك الوسائل، ج٥، ص١٦٣.

(٢) م.ن، ج١١، ص٢٥٨.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

تجارة كل تاجرٍ، وأتته الدنيا وهي راغمة»[١].

٤ ـ رضا الله:

وهذا المقام من المقامات العالية، التي يسعى عباد الله العارفون ـ من خلال التقوى والعمل الصالح ـ إلى نيله وتحصيله، فيرضى الله عنهم ويرضون عنه.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢].

ويقول أيضاً في آية أخرى:

﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣].

٥ ـ الثواب الأخروي:

التقوى طريق إلى التوفيق والكمال، وهي من أهمّ الطرق الموصلة إلى رضوان الله والتوفيق والكمال، ولها آثارها الدنيوية والأخروية العظيمة. «وهي قوة داخليّة وقدرة نفسيّة، تمتلك من خلالها النفس القدرة على إطاعة الأوامر الإلهيّة، وعلى مقاومة ميولها وأهوائها، ومنشؤها الخوف من الله، وأثرها تجنّب معصيته، وهي تساعد الإنسان على تجنّب حبائل الشيطان، وإغراء الدنيا»[٤].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«**يا عباد الله إنّ تقوى الله حمت أوليائه محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والريّ بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل...**»[٥].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٤) تزكية النفس، جمعية المعارف الإسلامية، الدرس السابع، ص٤٣.

(٥) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٢٥٠.

وإذا امتلـك الإنسـان هـذه الملكة، فإنّه سيصـبغ كلّ أعماله بالصـبغة الإلهيّة فلن يفعل إلاّ ما يرضي اللّه، ولن يقوم بما يسخط اللّه، وسيجهد في فعل المستحبّات، وترك المكروهات والوقوع في الشبهات.

وعنه عليه السلام «**إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المَثُلات، حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات**»[١].

وإذا وصـل الإنسـان إلى هذه المرتبة، فإنّ اللّه سـيكون حسـبه، ويجعل له من أمره فرجاً ومخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويسكنه جنّاته وينال رضوانه.

وهو مقتضـى عدل اللّه، الذي وعد عباده المحسـنين، بأنّ لهم عند اللّه أجراً وثواباً على طاعتهم وصبرهم، على أداء التكاليف في الحياة الدنيا.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وكذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٣] **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾**[٤].

وفـي المقابـل ذلك فـإنّ المجرمين لهم عذاب أليـم، خالدين فـي جهنّم، ولهم صـغار عنـد اللّه، أي ذلّـة وعذاب شـديد، والافتضـاح والخـزي والمهانـة، والندم والخسران المبين.

(١) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٦١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٢.



١ ـ لقد فطرنا اللّه على توحيده وشكر نعمه، إلّا أنّ هذه الفطرة قد تتلوّث فينحرف الإنسان عمّا أراده اللّه أنْ يصل إليه من الهدف لخلقه. ولذا منَّ اللّه علينا بإرسال الأنبياء عليهم السلام من أجل هدايتنا وإيقاظنا من الغفلة.

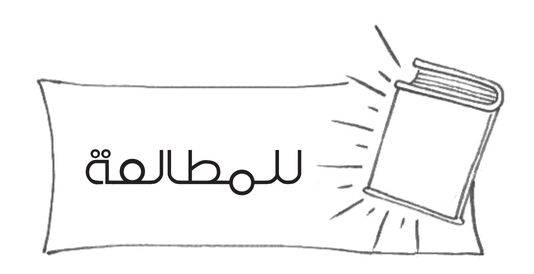
٢ ـ إن اجتناب الذنوب والمعاصي له آثار وبركات كبرى، منها:

ـ الدخول في ولاية اللّه.

ـ الهداية الإلهيّة.

ـ التوفيق في الحياة الدنيا.

ـ الفوز برضا اللّه تعالى ورضوانه الأخرويّ.



عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يوصي للمسلمين بكلمات فيقول:

تعاهـدوا الصـلاة وحافظـوا عليها واسـتكثروا منهـا وتقرّبوا بها فإنّهـا كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفّار حين سُئلوا **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾** وقد عرف حقّها من طرقها وأُكرم بها من المؤمنين الذين لا يشـغلهم عنها زين متاع ولا قرة عين من مالٍ ولا ولد، يقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾**. وكان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم منصـباً لنفسـه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه فقال عزَّ وجلَّ **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾** الآية، فكان يأمر بها أهله ويصبّر عليها نفسه.

ثـمّ إنّ الـزكاة جُعلت مع الصـلاة قُرباناً لأهل الإسـلام على أهل الإسـلام ومن لم يُعطِهـا طيِّب النفس بهـا؛ يرجو بها من الثمن ما هو أفضـل منها، فإنّه جاهل بالسـنّة مغبون الأجر ضالّ العمر طويل الندم بترك أمر الله عزَّ وجلَّ والرغبة عمّا عليه صالحو عباد الله، يقول الله عزَّ وجلَّ **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾** من الأمانة فقد خسـر من ليس من أهلها وضـلّ عمله، عُرضـت على السـماوات المبنيّة والأرض والمهاد والجبال المنصـوبة فـلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعت من طولٍ أو عرضٍ أو عظمٍ أو قوة أوعزةٍ امتنعن ولكن أشفقن من العقوبة.

ثمّ إنّ الجهاد أشـرف الأعمال بعد الإسـلام وهو قوام الدِّين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة، وهو الكره فيه الحسـنات والبشـرى بالجنّة بعد الشـهادة، وبالرزق غداً عنـد الـرب والكرامة، يقول اللّه عزَّ وجـلَّ ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِـي سَبِيلِ اللّهِ**﴾ الآية، ثمّ إنّ الرعب والخوف من جهاد المسـتحقّ للجهاد، والمتوازرين على الضـلال ضـلال في الدين وسـلب للدنيا مع الذلّ والصـغار، وفيه اسـتيجاب النـار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُـمُ الأَدْبَارَ**﴾ فحافظـوا على أمر اللّه عزَّ وجلَّ في هذه المواطن التي الصـبر عليها كـرم وسـعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهـول والمخافة، فإنّ اللّه عزَّ وجلَّ لا يعبأ بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علماً وكلّ ذلك ﴿**فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ فاصبروا وصابروا وأسألوا النصر ووطّنوا أنفسكم على القتال واتقوا اللّه عزَّ وجلَّ فإنّ ﴿**اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾».

الكافي، ج٥. ص ٣٦؛ بحارالأنوار، ج٣٣، ص ٤٤٧

10

دواء القلوب

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«ألا أُنبّئكم بدائكم من دوائكم، قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٨٢.

تمهيد

بعد أن تعرّفنا على أمراض الذنوب وآثارها المهلكة، لا بدَّ أن نتعرّف أيضاً على الدواء والعلاج المناسب لها؛ لأنّ لكلّ داء دواء كما ورد في الخبر، لكنّ الأهم من معرفة الداء هو معرفة الدواء وكيفيّة العلاج، وقد أرشدنا الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه وكذلك أهل البيت عليهم السلام في الروايات الشريفة إلى ذلك، وما علينا إلّا وضع الأمور في مواضعها والاستفادة منها.

ومقدّمة لا بدَّ للإنسان أنْ يعرف أنَّ له بُعداً ماديّاً وهو الجسم، وبُعداً معنويّاً وهو الروح، وكما يهتمّ كلّ واحد منّا بجسمه فإنّ عليه أن يهتمّ بروحه أيضاً، لأنّ كلًّا منهما له حقّ لا بدّ من أدائه.

لذا، وكما تهتمّ بصحّتك وأكلك وشربك، وتسعى جاهداً من أجل المحافظة على جسمك، فتسارع إلى مداواته عند المرض وحلول السقم خوفاً من الموت والهلاك، كذلك لا بدّ وبطريق أولى من الاهتمام بقلبك وروحك، وغذائه، لئلّا تمرض أيضاً، فيقسو قلبك ويُختم عليه، فتعجز حينئذٍ عن علاجه، وبالتالي يؤدّي إلى الهلاك الدنيويّ والأخرويّ.

ويا للعجب من أقوامٍ يهتمّون بأبدانهم، وهذه الأبدان زائلة فانية يأكلها الدود وتصبح رميماً وتراباً، ولا يهتمّون بأرواحهم الخالدة الباقية، إمّا في الجنة أو في النار.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**عجبت لأقوامٍ يحتمون الطعام مخافة الأذى، كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار**»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٤٦.

كيف نعالج أمراضنا الأخلاقيّة

لنفترض أنّنا أُصبنا بأيّ مرضٍ أخلاقيّ، كالكذب والغيبة والسرقة وغيرها.

فالخطوة الأولى في طريق العلاج والشفاء، هو التشخيص الصحيح لنوع المرض، ومدى تجذّره في قلوبنا.

وثانياً: لا بدّ من معرفة سبب المرض؛ لأنّ العلاج قد يكون بعلاج السبب فيزول المسبّب عنه. مثلاً لماذا أكذب؟ هل هو لنقصٍ في شخصيّتي، أم لأجل مصلحة دنيويّة أم لأجل... الخ. ولماذا أغتاب؟ ولماذا أسرق؟...

وثالثاً: استعمال الدواء بشكل صحيح ومتابعة العلاج.

رابعاً: التفقّه في الدين، والمراد منه ها هنا اطّلاع الإنسان على خطورة الذنب وآثاره الدنيويّة والأخرويّة. فإذا التفت إلى خطورة الكذب مثلاً، وأنّه باب الكبائر، وأنّه ينسلخ عن الإيمان حين كذبه، وأنّه سيُعاقب عليه، فأيٌّ عاقلٍ سيقدم بعدها على الكذب والعياذ بالله؟!.

علاج آخر للذنوب

وهذا العلاج ينقسم إلى شقّين أحدهما: العلاج العلميّ، والثاني هو العلاج العمليّ.

أ - العلاج العلميّ

وقد نصطلح عليه بالعلاج النفسيّ ويقوم على عدّة أمور: التفكّر والتذكّر والعزم.

١ ـ التفكّر:

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في هذا المجال: «**والتفكّر في هذا المقام، هو أن يُفكّر الإنسان بعض الوقت، في أنّ مولاه الذي خَلقه في هذه الدنيا، وهيّأ له كلّ أسباب الدعة والراحة، ووهبه جسماً سليماً... ومن جهة أُخرى أرسل جميع هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وأنزل كل الكتب والرسالات... فما هو واجبنا تجاه هذا المولى مالك الملوك؟..**

هـل أنّ وجـود جميـع هـذه النعم هو فقـط لأجل هـذه الحيـاة الحيوانيّة واشـباع الشهوات... أم أنّ هناك هدفاً وغاية أخرى... إنّ الإنسان إذا فكّر للحظةٍ واحدةٍ عرف أنّ الهدف من هذه النعم هو شيء آخر، وأنّ الغاية من هذا الخلق أسمى وأعظم؛ وأنّ هذه الحياة الحيوانيّة ليست هي الغاية بحد ذاتها»[١].

وبعبارةٍ أُخرى لا بدَّ أن تجلس مع نفسك، تتأمّل في وضعك وحياتك، ودنياك وآخرتك، وأن تقوم بجردة حسـابيّة لمسـير حياتك: أين كنت؟، وإلى أين أسـير؟، وكيف أسير؟، هل أنا راضٍ عن حياتي وعلاقتي مع ربّي؟، وهل أنا أسـير من الحسـن إلى الأحسـن أم إلى الأسـوأ؟، هل أنـا إن متُّ الآن إلى الجنّة أذهب، أم إلى النار التي سـجّرها جبّارها لغضـبه؟، كلّ هذه الأسـئلة سـوف تؤدّي إلى جوابٍ، يدعو هذا الإنسان إلى الاستئناف، وإعادة فتح حسابٍ جديدٍ مع ربّه وخالقه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**رحم الله امرأً نظر فتفكّر، وتفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصـر، وأبصـر فأقصـر، فقـد أبصـر أقوام ولم يقصـروا، ثـم هلكوا فلـم يدركوا ما طلبوا، ولا رجعوا إلى ما فارقوا...**»[٢].

٢ ـ العزم:

والمـراد به هـا هنا هو «**أن يُوطّن الإنسـان نفسـه، ويتّخـذ قراراً بترك المعاصـي وبأداء الواجبات، وتدارك ما فاته في أيّام حياته**»[٣].

وبعبارة ثانية: لا بدَّ لك أن تقرّر وتريد السير نحو الله وإطاعته، وترك اطاعة الشيطان، والسعي في سبيل ذلك والتحرّك إليه، ببدء المسير من يومك هذا، لأنّ غداً قد لا يأتي.

عـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّما الدنيا ثلاثة أيّام: فيومٌ مضـى بما فيه فليس بعائـد، ويـومٌ أنت فيه يحـقّ عليك اغتنامه، ويوم لا تدري هل أنت من أهله ولعلّك راحلٌ**

(١) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج٥، ص١٤٧.

(٣) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٢٥.

فيه... وإن يكُ يومك هذا آنسك بقدومه، فقد كان طويل الغيبة عنك، وهو سريع الرحلة عنك، فتزوّد منه وأحسن وداعه، خذ بالبقيّة في العمل وإيّاك والاغترار بالأمل...»[١].

٣ ـ التذكّر:

أ ـ تذكّر خَلقنا ووجودنا، والنعم التي أنعمها الله علينا فيما نستعملها.

ب ـ تذكّر العقاب الدنيويّ، وحلول سخط الله علينا في أبداننا وأموالنا وأولادنا، وقلّة المطر ونقصان الرزق والعمر، وتسلّط الأشرار علينا...

ج ـ تذكّر العقاب الأخرويّ.

ووقوفنا بين يدي الله عزَّ وجلَّ وافتضاحنا، ودخول النار وأليم عذابها وشدّته وطول مدّته...

٤ ـ الشعور بالرقابة الإلهيّة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢]، فإذا فكّر الإنسان وتيقّظ من غفلته، وعلم أنّ الله معه أينما كان، سواء في السر أو في العلن، في الليل أو في النهار، فلعلّه يستحي من اطّلاع ربّه عليه، ونظره إليه فيرعوي ويُقلع عن ارتكاب ما يُسخطه ويُغضبه.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**العالم محضر الله، فلا تعص الله في محضر الله**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يا إسحاق** [أحد أصحاب الإمام عليه السلام] **خفِ الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**»[٣].

وروي أنّ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام جاءه رجلٌ فقال له: «أنا رجل عاصٍ ولا أصبر على المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: **إفعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت:**

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٤٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٣) الكافي، ج٢، ص٦٧.

فأوّل ذلك: لا تأكل رزق الله، وأذنب ما شئت.

والثاني: أُخرج من ولاية الله، وأذنب ما شئت.

والثالث: أطلب موضعاً لا يراك الله، وأذنب ما شئت.

والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت.

والخامس: إذا أدخلك مالكُ في النار، فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت»[(١)].

ب - العلاج العمليّ

وهذا العلاج ينقسم إلى علاج عامّ وعلاج خاصّ.

العـلاج العـامّ: هو لكلّ الذنوب والأمراض وذلك بمعرفة سـبب الابتلاء بها، والوقوع فيهـا، وهـو إمّا الجهـل أو الغفلة أو ضـعف الإرادة، وحينئذٍ لا بدّ من المبـادرة إلى رفع الجهـل بالعلـم والتفقّه، ورفع الغفلة بالاسـتيقاظ والتذكر، وعلاج ضـعف الإرادة أمام الشهوات بتقوية العزم وبذل الجهد في مقاومة الذنوب وتركها.

العلاج الخاصّ: وهو أن يُبادر الإنسان عمليّاً إلى معالجة الذنب الذي وقع فيه، فإذا التفت مثلاً إلى أنّه وقع في الغيبة، فيتوقّف ويسـتغفر ربّه، ويسـعى للتحلّل من صاحبها، ويترك الغيبة مدّة من الزمن، ولا يجلس في مجلس الغيبة، ولا يشارك مع أحد في غيبة ولو بسكوته، وليتعوّد على لجم لسانه والتفكير قبل كلامه...

يقول الإمام الخميني قدس سره في كيفيّة علاج المفاسد الأخلاقيّة:

«ابحث عن العلاج واعثر على الدواء؛ لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة...

وأفضل علاج... هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك؛ وهو أن تأخذ كلّ واحدة مـن الملكات القبيحة التي تراها في نفسـك، وتنهض بعـزمٍ على مخالفة النفس إلى أمدٍ، وتعمل عكس ما ترجوه وتتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة. وعلى أيّ حال اطلب

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٢٦.

التوفيق من الله تعالى لاعانتك في هذا الجهاد، ولا شكّ في أنّ الخُلق القبيح سيزول بعد فترة وجيزة...»[١].

جلاء القلوب

من نعم الله علينا بعد أن خلقنا وابتلانا، وهو أعلم بما صنع، وقد علم أنّ بعضنا سيفسد في الأرض ويطغى، فينحرف عن صراطه المستقيم، فتنكّس القلوب وتقسو وتمرض، أرشدنا إلى الدواء على لسانه ولسان أهل البيت عليهم السلام، وسوف نشير ها هنا إلى جملة من أدوية القلب كما وردت عنهم عليهم السلام:

١ ـ ذكر الله:

يقول الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه الكريم **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[٢].

ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «**يا أبا أسامة إرعوا قلوبكم بذكر الله عزَّ وجلَّ، واحذروا النكت**»[٣].

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام عند تلاوته: **﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾**[٤] قال: «**إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب**»[٥].

قال الشاعر الورّاق:[٦]

وإذا مرضتَ من الذنوب فداوها ... بالذكر إنّ الذكر خيرُ دواء
والسقم في الأبدان ليس بضائرٍ ... والسقم في الأبدان شرّ بلاء

---

(١) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٣٩.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٣) الكافي، ج٨، ص١٦٧.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٥) بحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٢٥.
(٦) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٨١.

٢ ـ الاستغفار:

عن رسـول الله ﷺ قال: «**ألا أنبّئكم بدائكم من دوائكم: داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار**»[١].

٣ ـ قراءة القرآن:

وهو دواء وشفاء للقلوب والأبدان.

يقـول الله عـزَّ وجلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّـن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**، قيل فما جلاؤها؟ قال: **تلاوة القرآن وذكر الموت**»[٣].

وعنـه عليه السلام قال: «**إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هـذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره...**»[٤].

٤ قلّة الأكل:

عن الإمام الصـادق عليه السلام قال: «**وليس شـيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة**».

وقال عيسى روح الله عليه السلام : «**ما مرض قلب بأشدّ من القسوة**»[٥].

٥ ـ استماع الموعظة:

عن الإمام علي عليه السلام قال: «**المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب**»[٦].

وقيل: «الموعظة حرز من الخطأ، وأمنٌ من الأذى وجلاءٌ للقلوب من الصدأ».

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٤٤.

(٤) م. ن، ص٣١.

(٥) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٩٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٤.

٦ ـ الحديث:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا؛ فإنّ الحديث جلاءُ القلوب**»[١].

٧ ـ قيام الليل:

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصالحين، وإنّ قيام الليل قربة إلى الله وتكفير السيئات، ومنهاة عن الإثم ومطرودة الداء عن أجسادكم...**»[٢].



١ ـ كما يهتمّ الإنسان بصحته وطعامه ومشربه، والمسارعة إلى مداواة الأمراض التي يتعرّض لها جسده. كذلك لا بدّ وبطريق أولى، أن يهتمّ الإنسان بغذاء الروح، وعلاج أمراض القلب المعنويّة.

٢ ـ ينقسم علاج أمراض الروح والقلب إلى قسمين:

أ ـ العلاج النفسيّ، ويتضمّن ثلاث خطوات:

ـ التفكّر في عظمة مخلوقات الله.

ـ العزم على ترك المعاصي وأداء الواجبات.

ـ تذكّر العقاب الإلهيّ واستشعار رقباته لنا.

ب ـ العلاج العمليّ، ويتضمن خطوتان:

ـ علاج عامّ لكلّ الذنوب والأمراض، كمعرفة أسباب ارتكابها جهلاً أو غفلة... الخ.

ـ علاج خاصّ لكلّ ذنب، بشكل مستقلّ كعلاج ذنب الغيبة فقط، وهكذا.

٣ ـ وصفات تربويّة لعلاج أمراض القلوب:

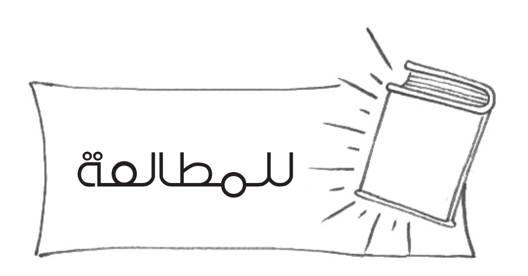
ـ ذكر الله تعالى واستغفاره.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص١٥٢.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٦، ص٣٣١.

- قراءة القرآن الكريم.
- التقليل من الطعام والشراب والنوم.
- الاستماع للموعظة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.
- أداء صلاة الليل فهي دأب الصالحين.



صلاة الزهراء عليها السلام:

قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وأمّا ابنتي فاطمة فإنّها سـيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي الّتي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهّر نورها لملائكة السّـماء كما يزهـر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكتـه: يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سـيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النار».

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٨، ص ٣٨

11

مكفّرات الذنوب

في الحديث القدسيّ:

«أهل طاعتي في ضيافتي، وأهل شكري في زيادتي، وأهل ذكري في نعمتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن دعوا فأنا مُجيبهم وإن مرضوا فأنا طبيبهم أداويهم بالمحن والمصائب، لأطهّرهم من الذنوب والمعايب»[1].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤٢.

تمهيد

يقول الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه الكريم:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[1].

لا بدّ للإنسان المؤمن أن لا يُصاب باليأس والقنوط من روح الله ورحمته التي وسعت كلّ شيء؛ لأنّ ذلك من أكبر الكبائر كما ورد في الرواية الشريفة.

وفي مقابل ذلك لا بدّ أن لا يستهين بغضب الله وقهره فيأمن مكره وعقابه بتسويف من الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

ولذا لا بدّ أن يعيش العبد بين حالتي الخوف من العقاب، والرجاء لعفو الله ورحمته ومغفرته.

إنّنا رغم ابتلائنا بالذنوب والمعاصي وابتعادنا عن الله وإدبارنا عنه، واطاعة الشيطان والكفر بالنعم الإلهيّة، إلّا أنّ الله برحمته الواسعة الرحمانيّة والرحيميّة ما زال ولا يزال يتلطّف بعباده ويتحبّب إليهم ويدعوهم إلى العودة والإنابة والتوبة والاستغفار، وأعطانا الأمل بقبولها وهيّأ لنا أعمالاً إن نحن قُمنا بها استوجبنا بتفضّله ولطفه كفّارة ذنوبنا وسيّئاتنا، وما قصّرنا في جنبه وحقّه. وهي كثيرة ومتعدّدة إلّا أنّه سنقتصر على بعضٍ منها:

١ ـ الطاعات والحسنات:

ولا سيّما الصلاة التي هي عمود الدين «**إن قُبلت قبل ما سواها وإن رُدّت ردّ ما**

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٥.

سـواها»[١]، وهي أفضـل الأعمال والفرائض بعد المعرفـة[٢]، وهي التي رحمنا الله بها لتردعنا عن الفحشاء والمنكر:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[٣].

وهذه قاعدة ذهبيّة لا بدّ من اغتنامها والظفر بها؛ إذ إنّ أيَّ مؤمن يرتكب الفحشاء والمنكر والمعاصـي لا بدّ له أن يفتّش عن الخلل في صـلاته سواء من ناحية الإجزاء أو القبول.

وبنـاءً عليه لو صـلّى العبد الصـلاة المطلوبة والمقبولة؛ فسـوف يحصِّـل مغانمها وآثارها الهامّة في الدنيا والبرزخ والآخرة.

رُوي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال لأصحابه:

«لو كان على باب دار أحدكم نهرٌ فاغتسـل في كلّ يوم منه خمس مرات أكان يبقى في جسده من الدرن شيءٌ، قلنا: لا.

قال: فإنّ مثل الصلاة كمثل النهر الجاري؛ كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب»[٤].

أرجى آية في القرآن

رُوي أنّ عليّاً عليه السلام أقبل على الناس فقال لهم:

«أيَّة آيةٍ في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾، قال: حسـنة وليسـت إيّاها، وقال بعضـهم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِـمْ نَفْسَهُ﴾.. الآية، قال: حسـنة وليسـت إيّاها، وقـال بعضـهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾، قال: حسـنة وليسـت إيّاها، قال: ثـمّ أحجم الناس، فقال عليه السلام: ما لكم يا معشـر المسـلمين قالـوا: لا والله ما عندنا

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٤.

(٢) الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٦٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) الطوسي، التهذيب، ج٢، ص٢٣٧.

شيء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وقـرأ الآية كلّها[1]**، وقال: يـا عليّ والذي بعثني بالحقّ بشـيراً ونذيراً إنّ أحدكم ليقوم إلى وضوئه فيتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيءٌ؛ كما ولدته أمّه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتّى عدَّ الخمس»**[2].

ولكن عليكم الحذر، فليس معنى ذلك أن يعصـي الإنسـان ربَّه اتكالاً على الصـلاة، وإلّا أصبحت الصلاة وسيلة شيطانيّة للوقوع في الذنوب.

٢ ـ تعجيل العقوبة في الدنيا:

وهـذا بـابٌ من أبواب لطف الله بعبـاده في الدنيا، لأنّ العقوبـة الدنيويّة مهما بلغت فهي بمثابة الرحمة والفضل على العبد أمام عقوبات الآخرة وأهوالها ونارها، والتي ورد أنّ حلقـة من تلك الحلقات التي طولها سـبعون ذراعاً لو أُنزلت إلى الدنيا لاحترقت بما فيهـا. وقد ورد في الخبر عن الإمام الصـادق عليه السلام قـال: «**إنّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمةٍ ويذكّره الاستغفار...**»[3].

أوّلاً: قد يصل العبد العارف العاقل إلى البكاء والطلب والدعاء من ربّه ولسان حاله يقـول: يا ربّ أنا واثق من رحمتك وعفـوك ومغفرتك وإلّا تغفر لي فقد هلكت، فعجِّل لي العقوبة في الدنيا لتكفِّر سـيّئاتي وأتخلّص من ذنوبي لئلّا يشـملني غضبك ونقمتك في الآخرة.

وثانيـاً: إنّ الله إذا عاقبنا تفضّـلاً ورحمة في هذه الدنيا فلـن يعاقبنا بما لا نطيق، ولكن العياذ بالله ممّا لا يُطاق من عذاب الآخرة وأهوالها: «**يا ربَّ وأنت تعلم ضعفي عن قليـلٍ مـن بـلاء الدنيا وعقوباتها، ومـا يجري فيها من المكاره علـى أهلها على أنّ ذلك**

---

(١) ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ سورة هود، الآية: ١٦٤.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٩.

(٣) الكافي، ج٢، ص٤٥٢.

بلاء ومكروه؛ قليل مكثه يسير بقاؤه قصير مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها؛ وهو بلاء تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفّف عن أهله لأنّه لا يكون إلّا عن غضبك وانتقامك وسخطك وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض...»(١).

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عجّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد الله بعبدٍ سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يُوافي بها يوم القيامة**»(٢).

وعنه وعن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ما من الشيعة عبدٌ يُقارف أمراً نَهينا عنه فيموت حتى يُبتلى ببليّة تُمحِّص عنه ذنوبه؛ إمّا في مالٍ وإمّا في ولدٍ، وإمّا في نفسه، حتّى يلقى الله عزَّ وجلَّ وما له ذنب. وإنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد به عليه عند موته**»(٣).

٣ ـ الأمراض:

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**المرض للمؤمن تطهيرٌ ورحمة وللكافر تعذيب ولعنة، وإنّ المرض لا يزال بالمؤمن حتّى لا يكون عليه ذنبٌ**»(٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا مرض المسلم كتب الله له بأحسن ما كان يعمل في صحته وتساقطت ذنوبه كما تُساقط ورق الشجر**»(٥).

٤ ـ الأحزان والهموم والغموم:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفِّرها به ابتلاه الله بالحُزن في الدنيا ليكفِّرها به...**»(٦).

وعن زكريّا بن آدم قال دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: «**... يا زكريّا بن**

---

(١) مقطع من دعاء كميل للإمام علي عليه السلام.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ج١، ص٢٠.

(٣) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٥٣.

(٤) وسائل الشيعة، ج٢، ص٤٠١.

(٥) م.ن، ص٤٠٢.

(٦) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٥٢.

آدم ما أحدٌ من شـيعة علي عليه السلام **أصـبح بصـبيحةٍ أتى سـيئةً أو ارتكب ذنباً إلّا أمسى وقد ناله غمٌّ حطَّ عنه سيّئته...»**[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من مؤمنٍ إلّا وهو يُذكر في كلّ أربعين يوماً ببـلاء؛ إمّـا فـي مالـه أو في ولده أو في نفسـه. فيُؤجـر عليه، أو هـمّ لا يدري من أين هو»**[٢].

٥ ـ حُسن الخلق:

عـن الإمام الصـادق عليه السلام قـال: «**إنّ حُسـن الخُلُـق يُذيـب الخطيئة كمـا تُذيب الشمس الجليد، وإنّ سوء الخُلق ليُفسد العمل كما يُفسد الخلُ العسلَ»**[٣].

٦ ـ الصلاة على محمّد وآل محمّد:

عـن الإمام الرضـا عليه السلام قال: «**من لـم يقدر على مـا يكفّر به ذنوبـه فليُكثر من الصلاة على محمّد وآله فإنّها تَهدِم الذنوب هدماً»**[٤].

وسـوف نشـير ها هنا ورعاية للاختصـار إلى عناوين بعض مكفّـرات الذنوب، كما وردت في الروايات الشريفة عن أهل البيت (سلام الله عليهم) وهي:

. الاستغفار.

. كثرة السجود.

. صوم شعبان.

. إجابة المؤذّن.

. غمُّ الموت.

. إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب.

. قراءة القرآن.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٤٦.

(٢) م. ن، ج٦٤، ص٢٣٧.

(٣) م. ن، ج٦٨، ص٣٩٥.

(٤) روضة الواعظين، ج٢، ص٣٢٢.

. الحجّ والعمرة.

. تفطير المؤمن الصائم.

. ذكر «لا إله إلّا الله».

. الذكر عشر مرّات يوميّاً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت ويُحيي، وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير».

الخوف والرجاء

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«كان فيها (وصية لقمان) الأعاجيب وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خَفِ الله عزَّ وجلَّ خيفة لو جئته ببرِّ الثقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك، ثم قال عليه السلام:

كان أبي يقول: إنّه ليس من عبدٍ مؤمنٍ إلّا وفي قلبه نوران نور خِيفة ونور رجاء، لو وُزن هذا لم يزد على هذا ولو وُزن هذا لم يزد على هذا»[1].

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في مجال شرحه لهذا الحديث إنّ للمؤمن العارف بالحقائق نظرتين:

الأولى: نظرته إلى نفسه من حيث نقصانه وضعفه وافتقاره واحتياجه...

والثانية: نظرته إلى كمال الله تعالى وبسط رحمته...

وعلى الإنسان أن يتردّد بين هاتين النظرتين فلا يغمض عينيه عمّا فيه من نقصٍ وقصور في القيام بواجب العبوديّة، ولا هو ينسى سعة رحمة الحقّ جلّ جلاله وعنايته وشمولها... ويذكر قدس سره عن سبب تعادل الخوف والرجاء في الروايات فيقول: إنّ الإنسان عندما يُدرك قصوره في النهوض بالعبوديّة ويرى صعوبة وضيق طريق الآخرة يُصاب بالخوف، وعندما يجد ذنوبه ويرى بعينه كيف أنّ هناك بعض الأشخاص الذين كانت بدايتهم حسنة ثمّ انقلبوا وكانت عاقبة أمرهم الموت دون إيمان أو عمل صالح،

(١) الكافي، ج٢، ص٦٧.

سيُصــاب بالهلع، وفي الحديث عن الإمام الصــادق عليه السلام: «**المؤمـن بين مخافتين: ذنب قد مضـى لا يَدري ما صـنع الله فيه، وعمرٌ قد بقي لا يَدري ما يكتسـب فيه من المهالك فهو لا يُصبح إلّا خائفاً ولا يُصلحه إلّا الخوف**».

ولكنّــه فــي المقابل يرى الحقّ فــي منتهى العظمة والجلال وسـعة الرحمة والعطاء، وحيث إنّ اللّه تعالى حاضـرٌ في قلب المؤمن بجميع صـفاته حيث تتجلّى أسماء الجلال والجمــال فــي قلــب العارف بصـورة متعادلـة لا يترجّح كلّ مـن الخـوف والرجاء على الآخر[1].

وما أجملَ كلام الإمام السـجّاد زين العابدين عليه السلام حينما يقول في دعاء السـحر: «**أدعـوك يـا ربّ راهبـاً راغبـاً راجيـاً خائفـاً؛ إذا رأيت مـولاي ذنوبي فزعـت، وإذا رأيت كرمك طمعت، فإن عَفوت فخير راحمٍ، وإن عَذّبت فغير ظالمٍ...**».



١- بالرغم من ابتلاء الإنســان بالذنوب، إلّا أنّ أبواب الرحمة الإلهيّة تبقى مفتوحة أمامه.

٢- مـن الأعمـال التي تـؤدّي إلى تكفيـر ذنوبنا وسـيّئاتنا، القيام بالطاعـات وأداء الواجبات وغيرها.

٣- إنّ بعض الابتلاءات والمحن والمصـائب التي يبتلي بها المؤمن، هي في واقعها رحمـة إلهيّة تهدف إلى غسـل قلب الإنســان مـن الذنوب، قبل الرحيـل إلى دار الآخرة.

---

(١) مقتبس من كتاب الأخلاق من «الأربعون حديثاً»، جمعية المعارف الإسلامية، الدرس الخامس، ص٣٤ ـ ٤٠.



دخل معاذ بن جبل على رسـول الله ﷺ باكياً فسـلّم فرد عليه السـلام ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسـول الله إنّ بالباب شـاباً طريَّ الجسـد، نقيَّ اللون، حسـن الصـورة، يبكي على شـبابه بكاء الثكلـى على ولدها، يريد الدخول عليـك، فقال النبيّ ﷺ: أدخِل عليَّ الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلَّم فردَّ عليه السلام، ثم قال: ما يُبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزَّ وجلَّ ببعضها أدخلني نار جهنم؟ ولا أراني إلّا سـيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً، فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شـيئاً: قال: أعوذ بالله أن أُشـرِك بربي شـيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرَّم الله؟ قـال: لا، فقـال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسـي، فقال الشـاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسـي، فقال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضـين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق! فقال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السـماوات ونجومها ومثل العرش والكرسـي، قال: فإنّها أعظم من ذلك، قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضـبان ثمّ قال: ويحك يا شـاب ذنوبك أعظم أم ربُّك؟ فخرَّ الشـاب لوجهه وهو يقول: سـبحان ربّي ما شـيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الربُّ العظيم؟ قال الشـاب: لا والله يا رسـول الله، ثم سكت الشابُّ فقال له النبيّ ﷺ: ويحك يا شـاب ألا تخبرني بذنب واحد مـن ذنوبك؟ قال: بلى أخبرك: إنّي

كنت أنبش القبور سـبع سـنين، أُخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصـار، فلمّا حُملت إلى قبرها ودُفِنت وانصـرف عنها أهلها، وجنَّ عليهم الليل أتيت قبرها فنَبشتُها، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجرِّدة على شـفير قبرها، ومضـيت منصـرفاً فأتاني الشـيطان فأقبل يزيِّنها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضـها؟ أما تـرى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتّـى رَجِعتُ إليها، ولم أملك نفسـي حتّى جامَعْتُها وتركتُها مكانها، فإذا أنا بصـوت من ورائي يقول: يا شـاب ويلٌ لك من ديّان يوم الدين، يوم يقفني وإيّاك؛ كما تركتني عريانة في عسـاكر الموتى، ونزعتني من حفرتي وسـلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبة إلى حسـابي، فويل لشبابك مـن النار!. فما أظنّ أنّي أشـمُّ ريح الجنّـة أبداً فما ترى لي يا رسـول الله؟ فقال النبيّ ﷺ: تنحَّ عنّي يا فاسـق، إنّي أخاف أن أحترقَ بنارك، فما أقربك من النار! ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويشـير إليه حتّى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ثمّ أتى بعضـ جبالها فتعبّد فيها، ولبس مسـحاً وغلَّ يديه جميعـاً إلى عُنقه، ونادى: يا ربِّ هذا عبدك بهلول، بين يديك مغلول، يا ربّ أنت الذي تعرفني، وزلّ منّي ما تعلم، سـيّدي! يا ربّ أصـبحت من النـادمين، وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسـألك باسمك وجلالك وعظمة سـلطانك أن لا تخيّب رجائي، سيدي! ولا تبطل دعائي ولا تُقنطني من رحمتـك. فلم يزل يقول ذلـك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السـباع والوحوش، فلمّا تمّت لـه أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السـماء، وقال: اللّهمّ مـا فعلت في حاجتي؟ إن كُنتَ اسـتجبت دعائي وغفـرت خطيئتي فـأوحِ إلى نبيّك، وإن لم تَسـتجب لـي دعائي ولم تَغفـر لـي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجِّل بنـارٍ تُحرقني، أو عقوبة فـي الدنيا تُهلكني، وخلِّصـني من فضيحة يوم القيامة. فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِشَـةً﴾** يعني الزنـا **﴿أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُسَهُمْ﴾** يعنـي بارتكاب ذنـب أعظم من الزنـا، ونبش القبور، وأخذ الأكفان **﴿ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾** يقول: خافوا الله فعجَّلـوا التوبـة **﴿وَمَـن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾** يقول عزَّ وجلَّ: أتـاك عبدي يا محمّد تائباً

فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثمّ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بَلغَنا أنّه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب؛ فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسودّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيّدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي؟ أفي النار تُحرقني؟ أو في جوارك تُسكنني؟ اللهمّ إنّك قد أكثرت الاحسان إليّ وأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنّة تزفّني؟ أم إلى النار تسوقني؟ اللّهمّ إنّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع! وصفّت فوقه الطير! وهم يبكون لبكائه! فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول! أبشر فإنّك عتيق الله من النار. ثمّ قال ﷺ لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول. ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزَّ وجلَّ فيه وبشّره بالجنة.

12

رحمة الله بعباده

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«التوبة حبلُ الله ومددُ عنايته ولا بدَّ للعبد من مداومة التوبة على كلِّ حال، وكلُّ فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من النفس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاصّ من الاشتغال بغير ذكر الله، وتوبة العامّ من الذنوب»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦، ح٣٨، ص٣١.

تمهيد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

بعد كلّ ما تقدم معنا عن آثار الذنوب وتبعاتها وأخطارها في الدنيا والآخرة، لا بدّ من التعرّف إلى أنّ الله الرحمن الرحيم قد فتح أبواب رحمته لتعود إليه بعد عصيانك وطغيانك وتجاوز الحدّ وهتك الستر، وهذا من فضل الله علينا ورحمته بنا وإلّا لكنّا من الخاسرين:

﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣].

وأبواب رحمة الله كثيرة ومتعددة وسنشير هنا إلى أهمّها:

١ - فتح باب التوبة:

إنّ باب التوبة والأَوْبَة إلى الله من أهمّ الأبواب، وهو باب مفتوح لمن أراد دخوله، وقد دعانا الله إلى طَرقِه والورود فيه، فقال لنا في محكم كتابه:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) سورة النور، الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

والتوبـة حبـل اللّه الممـدود بيننـا وبينه، من تمسّـك بـه نجا ومن رغـب عنه هلك وهوى.

وقد وعدنا اللّه بأنّه سيقبل توبتنا إن تبنا وأنبنا إليه **﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾**[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**من أُعطي التوبة لم يُحرم القبول....**»[٢].

ومعنى قَبُول التوبة هو أنَّ إلهك الرحيم قد عفا عن إساءتك إليه، واستقبلك مجدّداً في جِوار رحمته ومدّ لك بساط مغفرته، ودعاك إلى مراجعة تقصيرك فيما قصّرت فيه، والاستئناف بأداء حقوقه وفرائضه بإتيان الطاعات وترك المعاصي والموبقات.

ومن ثمار هذه التوبة: أنّك تُصبح محبوباً للّه **﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾**[٣] ومن أحبّه اللّه لم يُعذِّبه اللّه كما ورد في الرواية الشريفة، ووفّاه أجره يوم القيامة، وكان من الآمنين، وأباحه جنّته، وأذاقه بَرْد عفوه وغَفرَ له **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**[٤].

ومن ثمارها أيضاً: تحصيل المغفرة **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٥].

وإنّ ذلك خيرٌ لنا **﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**[٦] وإنّك بتوبتك سوف تُفرح اللّه وتُسرّه بعودتك وإنابتك، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ اللّه تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجلٍ أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فاللّه أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها**»[٧].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٧٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٣.
(٧) الكافي، ج٢، ص٤٣٥.

وعن رسول الله ﷺ قال: «**الله أفرحُ بتوبة عبده من العقيم الوالد (أي الذي رُزق بولـد بعـد عقم) ومن الضـالّ الواجد (لضـالته) ومـن الظمآن الـوارد (على حياض الماء)**»[1].

٢ - ستر الله على المذنب:

وهذا الباب أيضاً من أبواب لطف الله ورحمته بعبده قبل التوبة وبعدها؛ إذ إنّ العبد العاصي والآبق يعصي ثمّ يعصي وهكذا، والله يستر عليه فلا يؤاخذه بالكثير من ذنوبه ولا يفضـحه كلّما أذنب، لعلّ هذا العبد يستيقظ من غفلته، وهذا من نعم الله علينا كما قـال في كتابـه الكريم ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُـمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2] ويفسِّـرها لنا ابن عباس بقوله «الظاهرة الإسلام والباطنة ستر الذنوب»[3].

ويقـول الإمام عليه السلام في دعاء يوم الثلاثاء: «**وأنت علاّم الغيوب سـترت عليَّ عيوبي وأحصـيت عليَّ ذنوبي وأكرمتني بمعرفة دينك ولم تهتك عليَّ جميل سـترك يا حنّان ولم تفضحني يا منّان**»[4].

والإنسـان بطبعه يسـعى حين ارتكاب الذنب والجُرم أن لا يراه أحد من الناس لئلّا يُفتضـح بينهم، ولكن هيهات هيهات إن لم يُفتضـح في الدنيا لموضـع سـتر الله عليه، فسـوف يُفتضـح في الآخرة يوم الفضـيحة على رؤوس الأشـهاد وأمـام الخلق أجمعين وخاصّـة أمام معارفـه وأقربائه ممّن كان يتظاهـر أمامهم بالعفّة والصـلاح والمكانة والمنزلة، وها هو إمامنا علي عليه السلام يعلِّمنا ويُرشدنا إلى كيفيّة التكلّم مع الله ومناجاته وهو العليم الذي لا يخفى عليه شـيء «**إلهي سـترت عليَّ ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سـترها علـيَّ منـك في الآخرة، إلهي قد أحسـنت إليَّ إذ لم تُظهرهـا لأحدٍ من عبادك**

(١) كنز العمال، ج٤، ص٢٠٥، مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٢٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٣) الطوسي، الأمالي، ص٣٩٢.
(٤) بحار الأنوار، ج٨٧، ص١٨٣.

الصالحين فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد»[١].

وهـذا السـتر للذنـب إنّما هو قبل التوبـة، وأمّا سـتر الله على عبده بعـد التوبة فهو الأفضل والأجمل والأكمل؛ لأنّه لن يكون عليه شيء يشهد ضدّه يوم القيامة، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقُلت وكيف يستر عليـه قال: يُنسـي ملكيه ممّـا كُتب عليه من الذنوب ويُوصـي إلـى جوارحه أن اكتُمـي عليه ذنوبه، ويُوصـي إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيءٍ من الذنوب»**[٢].

٣ - فتح باب المغفرة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[٣].

وقد أمرنا الله تعالى تلطّفاً بنا ورحمة لنا أن نسـتغفره؛ بمعنى أن نسـتنزل المغفرة ونطلبها منه فقال في محكم كتابه: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾[٤].

بل وحثّنا على ذلك ﴿**أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥].

ومـن خلال هـذا الطلب والحثّ عليـه يتأكد لنـا أهميّة التوبة والاسـتغفار، ليس لنا فحسـب بـل عند ربّنا وإلهنا، وحينئذٍ لا بدّ أن ندرك شـدّة رحمـة الله بعباده وحبّه لهم من خلال دعوتهم إلى الدخول في ولايته وقربه، وإذا كان الداعي هو الكريم ذو الفضل العظيم فسوف يفي بوعده وعهده، ومن أصدق من الله قيلاً ومن أصدق من الله حديثاً، إنّ وعد الله حقّ فلا تُعرض عنه وابتغ إلى ذلك سبيلاً، وعن إمامنا الصادق عليه السلام قال: «**من أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة..»**[٦].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩١، ص٩٦.

(٢) الكافي، ج٢، ص٤٣٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٤) سورة نوح، الآية: ١٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٦) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٧٧.

وعنــه عليه السلام أنّــه قال: «**إنّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً فأذنب ذنبــاً أتبعه بنقمةٍ ويذكّره الاســتغفار، وإذا أراد الله بعبــدٍ شــراً فأذنــب ذنبــاً اتبعــه بنعمــةٍ ليُنســيه الاســتغفار، ويتمــادى بهــا وهو قــول الله عزَّ وجلَّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّــنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي**»[١].

ومن عظيم نعم الله علينا أيضــاً أنّه لا يُكتب علينا الذنب إلى ســبع ســاعات منتظِراً منّا الاســتغفار ليغفره لنا، قال الصادق عليه السلام: «**من عمل سيّئة أُجِّل فيها سبع ساعات من النهار فإن قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم ثلاث مرات لم يُكتب عليه**»[٢].

وفي بعض الروايات أنّ ذنب النهار يؤجّل إلى الليل فإن استغفر لم يُكتب عليه.

بل ورد في بعضــها أنّه لو كُتب الذنب على العبد ثمّ استغفر منه ولو بعد عشرين سنة فإن الله سيغفره له.

وأخيراً ورد في الرواية الشــريفة أنّه طوبى لمن اســتغفر من ذنبه، وطوبى لمن وُجد مكتوباً تحت ذنبه استغفر الله.

لكن الحذر ثمّ الحذر هنا، من تســويلات الشــيطان وإيقاعنا بالرجاء السلبيّ، فربَّ ذنب قد يُسقطك من عين الله إلى الأبد!! فلا تتوقّق إلى التوبة والاستغفار.

٤ - فتح باب الدعاء:

وهــذا الباب خطيرٌ لا يقلُّ في الأهمية عمَّا ســبقه من أبواب رحمة الله بعباده، والله تعالى أكرم من أن يطلب من عبده الدعاء ثمّ لا يســتجيب له «**من أُعطي الدعاء أُعطي الإجابة**»[٣].

ولــذا ينبغي على العبــد العاقل أن يغتنم هذه الفرصــة فيُبادر إلى الدعاء والســؤال

(١) الكافي، ج٢، ص٤٥٢.

(٢) م.ن، ج٢، ص٤٣٨.

(٣) م.ن، ج٢، ص٦٥.

بـل والإلحـاح في الطلب، وأن لا يسـتكبر على الله وعبادته يقول الله تعالـى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**[١] وعـن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء**»[٢].

وعـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنّ أفضـل العبادة الدعـاء، وإذا أذن الله لعبد في الدعاء فتح له أبواب الرحمة، إنّه لن يهلك مع الدعاء أحد**»[٣].

هذا ولا بدّ للعبد أنّ يحقّق شـروط الدعاء من ناحية تحقيق المقتضـي، ورفع الموانع والتذلّل والخشـوع والخضـوع والاعتـراف بالذنب وإظهـار العجـز، والأدب عند التكلم مـع المولـى عزَّ وجـلَّ... ويكفينا في هـذا المجال أن نرجـع إلى مقتطفـات من الدعاء والمناجاة عن أئمّتنـا الطاهرين عليهم السلام لنرى كيفيّة تكلّمهم مع الله وكيفية إظهار الأدب في حضرته.

هـا هو أميـر المؤمنين عليه السلام يدعوه قائلاً: «**واجعل لسـاني بذكرك لهجـاً... فإنّك قضـيت علـى عبادك بعبادتك وأمرتهم بدعائك وضـمنت لهم الإجابـة، فإليك يا ربِّ نصبت وجهي، وإليك يا ربِّ مددت يدي، فبعزتك استجب لي دعائي، وبلِّغني مناي ولا تقطع من فضلك رجائي**»[٤].

وها هو إمامنا العسكري عليه السلام يقول في قنوته:

«**اللّهمّ إنّك ندبت إلى فضلك وأمرت بدُعائك وضمنت الإجابة لعبادك، ولم تخيِّب من فزع إليك برغبة، وقصد إليك بحاجة، ولم تُرجع يداً طالبة صفراً من عطائك، ولا خائبة من نحل هباتك....**»[٥]، وعن زين العابدين عليه السلام قال: «**إلهي كيف تُؤيسُني من عطائك وقد أمرتني بدعائك**»[٦]. وورد في مناجاة الذاكرين قوله عليه السلام:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) الكافي، ج٢، ص٦٥.

(٣) وسائل الشيعة، ج٧، ص٣١.

(٤) البلد الأمين، ص١٩١؛ مفاتيح الجنان، ص١٠٧.

(٥) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٢٨.

(٦) م. ن، ج٨٤، ص٢٨٦.

«ومِنْ أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذنك لنا في دعائك وتنزيهك وتسبيحك»[١].

وفي الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي ها هو الإمام زين العابدين عليه السلام يناجي ربه فيقول:

«توجّهت إليك بحاجتي وجعلت بك استغاثتي وبدعائك توسّلي... اللّهمّ أنت القائل وقولك حقّ ووعدك صدق ﴿وَاسْأَلُواْ اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، وليس من صفاتك يا سيّدي أن تأمر بالسؤال وتمنع العطية وأنت المنّان بالعطايا على أهل مملكتك والعائد عليهم بتحنّن رأفتك»[٢].

ولاية أهل البيت عليهم السلام مفتاح أبواب الرحمة

عن عمر بن الخطاب قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عليّ عليه السلام فغضب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما بَالُ أقوام يذكرون من له منزلة عند الله كمنزلتي ومقام كمقامي إلّا النبوّة، ألا ومن أحبَّ عليّاً فقد أحبَّني ومن أحبَّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافأه بالجنّة، ألا ومن أحبَّ عليّاً استغفرت له الملائكة وفُتحت له أبواب الجنّة... ألا ومن أحبَّ عليّاً أثبتت له الحكمة في قلبه، وأُجري على لسانه الصواب، وفتح الله له أبواب الرحمة...»**[٣].

إنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام هي رأس مالنا ومتاعنا في الحياة الدنيا والآخرة، فهم سبيل النجاة وسفينته والصراط المستقيم والوسيلة إلى الله وباب الله الذي منه يُؤتى، وقد سعد من والاهم وشقي من عاداهم؛ ولذا البدار البدار أيّها الأخ العزيز لتجديد الولاء والبيعة لهم وتقوية العلاقة والارتباط بهم، والتوسّل بهم إلى الله، كيف لا وقد أَمَرَنا الله بإطاعتهم **﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ..﴾**[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩١، ص١٥١.

(٢) م.ن، ج٩٥، ص٨٣.

(٣) م.ن، ج٢٧، ص١١٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

وأَمَرَنــا بأن نبتغي إليه الوســيلة ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[١]. وفي تفســيرها عن الإمام الصادق عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّها أهل البيت سلام الله عليهم.

إنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام هي النعمة الباطنة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢].

وهــي إكمال الدين وتمام النعمــة الواردة في قوله تعالى: ﴿الْيَــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: «**إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام**»[٤]. وفي روايات أخرى كثيرة اهتدى إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام.



١- بالرغم من جرأة الإنسان على فعل المعصية، إلّا أنّ الرحمن الرحيم قد أبقى باب الرحمة والمغفرة مفتوحاً للعاصين، لكي يدخلوا إلى ساحة التائبين المستغفرين لربّ العالمين.

٢- إنّ من عظمة أبواب اللّطف الإلهيّ ســتر الله على المذنبين من عباده قبل التوبة وبعدها، إذ أنّ العبد العاصــي يفعل الذنب مرّة وأخرى وهكذا... والله يستر عليه ولا يفضحه كلّما أذنب، لعلّ هذا العبد يستيقظ من غفلته.

٣- ومن عظيم نعم الله علينا أيضــاً، فتح باب الدعاء والرجاء لنا في أيّ وقت كان، لذا ينبغي أن نغتنم هذه الفرصة، ونبادر إلى الدعاء والسؤال والتضرّع، بين يديّ المولى عزّ وجلّ.

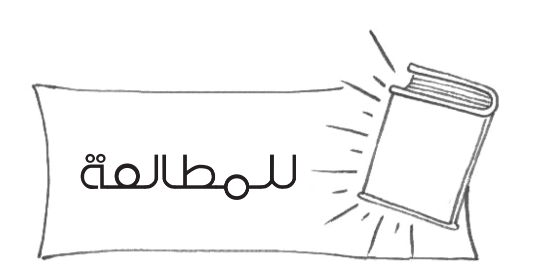
---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٤٨.



عن الحكم بن عيينة قال: بينا أنا مع أبي جعفر والبيت غاصٌّ بأهله إذ أقبل شيخ يتوكّأ على عنزة له (عصا) حتّى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم سكت، فقال أبو جعفر عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثمّ أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت، وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتّى أجابه القوم جميعاً وردّوا عليه السلام، ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر عليه السلام ثمّ قال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدنني منك جعلني الله فداك فوالله إنّي لأُحبّكم وأحبُّ من يحبّكم، ووالله ما أحبّكم وأحبّ من يحبّكم لطمعٍ في دنيا، وإنّي لأُبغض عدوّكم وأبرأ منه ووالله ما أُبغضه وأبرأ منه لوترٍ كان بيني وبينه، والله إنّي لأُحلّ حلالكم وأحرّم حرامكم وانتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إليَّ إليَّ حتّى أقعده إلى جنبه، ثمّ قال: أيّها الشيخ إنّ أبي عليَّ بن الحسين عليه السلام أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي عليه السلام: إن تمت تَرِد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام ويُثلج قلبك ويبرد فؤادك وتقرّ عينك وتُستقبلُ بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك ها هنا وأهوى بيده إلى حلقه، وإن تَعِش ترى ما يُقرُّ الله به عينك، وتكون معنا في السنام الأعلى.

فقال الشيخ: كيف قلت يا أبا جعفر، فأعاد عليه الكلام فقال الشيخ الله أكبر يا أبا جعفر إنّ أنا متُّ أَرِد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام وتقرّ عيني ويثلج قلبي ويبرد فؤادي وأستقبل بالرّوح والريحان مع

الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي إلى ها هنا، وإنْ أعش أرى ما يُقرّ الله به عيني فأكون معكم في السنام الأعلى. ثم أقبل الشيخ ينتحب ؟؟ حتّى لصق بالأرض وأقبل أهل البيت ينتحبون وينتشـجون لِما يرون من حال الشـيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسـح بإصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضـها، ثم رفع الشـيخ رأسـه، فقال لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناولني يدك جعلني الله فداك فناوله يده فقبّلها ووضعها على عينيه وخدِّه ثم حسر عن بطنه وصدره ثمّ قام فقال: السلام عليكم وأقبل أبو جعفر ينظر في قفـاه وهـو مدبر، ثمّ أقبل بوجهه على القوم فقال: من أحـبَّ أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا».

الكافي، ج٨، ص٧٦

الفهرس

المقدّمة ٥
١ - آثار الذنوب.. ٧
هدف وجود الإنسان: ٩
طريق النجاة: ١٠
الذنوب ١٠
آثار الذنوب:.. ١١
أ – الآثار الدنيويّة:.. ١٢
الآثار العامّة:.. ١٢
١. غضب اللّه ١٢
٢. الدخول في ولاية الطاغوت.. ١٣
٣. قسوة القلب ١٣
٤. حرمان الرزق ١٤
٥. نقصان العمر ١٤
٧. المرض.. ١٥
٨. نسيان العلم ١٥
٩. عدم استجابة الدعاء ١٦
١٠. عدم التوفيق للعبادة.. ١٦
١١. فوات الغرض ١٦

٢ - الآثار البرزخيّة والأخرويّة للذنوب ١٩
ب – الآثار البرزخيّة: ٢١
ما هو البرزخ؟ ٢١
١ . ضغطة القبر ٢٢
٢. سوء العذاب في القبر ٢٣
٣ . قرين السوء ٢٣
٤ . الندم وطلب الرجوع ٢٤
لمَ القيامة؟ ٢٤
ج – الآثار الأخرويّة ٢٥
١ . الافتضاح ٢٥
٢. المذلّة ٢٦
٣. الحسرة والندامة ٢٧
٤. العمى ٢٧
٥. نسيان اللّه له ٢٧
٦. عدم التشرّف بلقاء اللّه ٢٨
المحكمة الإلهية وشهود الآخرة ٢٨
من هم الشهود؟ ٢٩
١. اللّه ٢٩
٢. النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام ٢٩
٣. الملائكة ٣٠
٤.الجوارح والجوانح ٣٠
٥. الأرض ٣١
٦. الأيّام ٣١

٣ - الاستخفاف بالذنوب ٣٥
كيف ينظر الإنسان إلى هذه العلاقة؟ ٣٧
أنواع الاستخفاف ٣٩
الاستخفاف بأمر الله وآياته ٣٩
التهاون في العبادة ٣٩
التهاون في أكل المال الحرام والنجاسات ٣٩
التهاون في عباد الله ٤٠
احتقار صغائر الذنوب ٤٠
آثار الاستخفاف والتهاون ٤١
الاستخفاف بالصلاة ٤٢
مراتب الاستخفاف بالصلاة ٤٢
٤ - المجاهرة بالإثم ٤٧
آثار المجاهرة بالذنب ٥٠
تعجيل النقم ٥١
أشدّ المآثم ٥١
عدم العافية ٥١
الخذلان ٥١
عدم النجاة ٥١
الإبتهاج بالذنوب والمعاصي ٥١
من آثار الإبتهاج بالذنب ٥٢
الخسران ٥٢
الذلّ ٥٢
العذاب الأليم ٥٢
دخول النار ٥٢
الركون إلى الظالمين ٥٢

٥ - التواجد في مواضع التهم ٥٧
١ - الانجرار للمعصية: ٥٩
٢ - اتهامه بالمعصية: ٥٩
٣ - سوء الظنّ: ٦٠
مواضع التهمة ٦١
الخلوة بالأجنبيّة ٦٢
٦ - الغيبة ٦٥
الغيبة وآثارها ٦٧
تعريف الغيبة: ٦٨
القيود المأخوذة في أكثر التعاريف ٦٨
أسباب الغيبة في رواية الإمام الصادق عليه السلام ٦٩
آثار الغيبة الخاصّة دنيويّاً وأخرويّاً ٧٠
أ - الآثار الدنيويّة للغيبة: ٧٠
ب - الآثار الأخرويّة للغيبة ٧١
٧ - النميمة ٧٥
اللسان: نعمة ونقمة ٧٧
المعيار هو العقل ٧٨
مساوئ اللسان ٧٨
النميمة وآثارها ٧٩
آثار النميمة الدنيويّة والآخرويّة ٨١
١ - الحقد والضغينة: ٨١
٢ - غضب الله وهتك الستر: ٨١
٣ - شرار خلق الله: ٨١
٤ - عذاب القبر: ٨١
٥ - عدم دخول الجنّة: ٨١

٨ - الذنوب التي تعجّل عقوبتها ٨٥
أ – قطيعة الرحم ٨٧
آثار قطيعة الرحم ٨٨
١ – تعجيل الفناء: ٨٨
٢ – تورث الفقر: ٨٨
٣ – زوال النعم: ٨٩
٤ – حجب الدعاء: ٨٩
٥ – حلول النقم: ٨٩
٦ – خراب الديار: ٨٩
٧ – تعجيل العقوبة: ٨٩
٨ – من أشراط الساعة: ٨٩
ب – عقوق الوالدين: ٩٠
معنى العقوق وعلّة تحريمه ٩١
آثار العقوق وتبعاته ٩١
١ – من الكبائر الموجبة لدخول النار: ٩١
٢ – لا يشمّ العاقّ ريح الجنّة: ٩١
٣ – تعجيل العقوبة في الدنيا: ٩٢
٤ – عدم قبول الأعمال: ٩٢
٥ – ردُّ الدعاء: ٩٢
٦ – القلّة والذلّة: ٩٣
٩ - بركات اجتناب الذنوب ٩٧
هدف الأنبياء عليهم السلام ٩٩
التحذير من اتباع الشيطان ١٠٠

فرصة العمر ١٠١
آثار اجتناب الذنوب ١٠١
١ ـ الدخول في ولاية الله والخروج من ولاية الشيطان: ١٠٢
٢ ـ الهداية الإلهيّة: ١٠٢
٣ ـ التوفيق في الحياة الدنيا: ١٠٣
٤ ـ رضا الله: ١٠٤
٥ ـ الثواب الأخروي: ١٠٤
١٠ - دواء القلوب ١٠٩
كيف نعالج أمراضنا الأخلاقيّة.. ١١٢
علاج آخر للذنوب ١١٢
أ – العلاج العلميّ.. ١١٢
١ ـ التفكّر: ١١٢
٢ ـ العزم:.. ١١٣
٣ ـ التذكّر:.. ١١٤
٤ ـ الشعور بالرقابة الإلهيّة: ١١٤
ب – العلاج العمليّ ١١٥
جلاء القلوب.. ١١٦
١ ـ ذكر الله:.. ١١٦
٢ ـ الاستغفار: ١١٦
٣ ـ قراءة القرآن:.. ١١٧
٤ قلّة الأكل: ١١٧
٥ ـ استماع الموعظة: ١١٧
٦ ـ الحديث: ١١٨
٧ ـ قيام الليل: ١١٨

١١ - مكفّرات الذنوب ١٢١
١ ـ الطاعات والحسنات: ١٢٣
أرجى آية في القرآن ١٢٤
٢ ـ تعجيل العقوبة في الدنيا: ١٢٥
٣ ـ الأمراض: ١٢٦
٤ ـ الأحزان والهموم والغموم: ١٢٦
٥ ـ حُسن الخلق: ١٢٧
٦ ـ الصلاة على محمّد وآل محمّد: ١٢٧
الخوف والرجاء ١٢٨
١٢ - رحمة الله بعباده ١٣٣
١ – فتح باب التوبة: ١٣٥
٢ – ستر الله على المذنب: ١٣٧
٣ – فتح باب المغفرة: ١٣٨
٤ – فتح باب الدعاء: ١٣٩
ولاية أهل البيت عليهم السلام مفتاح أبواب الرحمة ١٤١
الفهرس ١٤٥